دولة ليبيا

جامعـــــــة الزاويـــــة

إدارة الدراسات العليا والتدريب

كلية الآداب - قسم الدراسات الإسلاميّة

إعمال الحديث النبوي في التفسير المنير لوهبة الزحيلي

بحث مقدّم استكمالاً لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في الدراسات الإسلامية

مقدمة من الطالب

نصرالدين امحمد الصويعي الفرجاني

إشـــــــــــــراف:

الدكتور / الهادي محمد سريط

العام الجامعي 2020/2019

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

آل عمران، **الآية** (7)

إهـــــــداء

إلى المُخلصين في طلب العلم

أهدي ثمرة هذا البحث .

الباحث

كلمة شكر وتقدير

لا شك أن (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1] وشكر الله مُقدَّم على كل شكر، ثم شكر من ساعدني في هذا البحث، سيما

الأستاذ المشرف: الهادي محمد سريط،

وجمع كريم من أهل الخبرة والاختصاص؛ ليكون على الوجه الذي هو عليه.

الباحث

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: إعمال الحديث النبوي في التفسير المنير لوهبة الزحيلي

إعداد: نصر الدين امحمد الصويعي الفرجاني

إشراف: الدكتور الهادي محمد سريط

تتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول

في المقدمة ذكرت أهمية البحث وإشكاليته والتساؤلات التي يجيب عليها.

(1) سنن الترمذي، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك،1954/339/4

أما التمهيد فيحتوى على نبذة مختصرة عن التفسير المنير وأسباب تأليفه ومميزاته وحياة الزحيلي العلمية ومشائخه ومؤلفاته ومناصبه ومنهجه وطريقته في التفسير.

وفي الفصل الأول تحدثت عن مصادر الزحيلي من كتب الحديث مع ذكر شواهد من كل مصدر.

وفي الفصل الثاني تناولت أسباب النزول بدء بالتعريف وكيف وظفها الزحيلي في التفسير.

وفي الفصل الثالث تناولت المعنى العام للآيات القرآنية من قصص الأنبياء والأمم السابقة.

وفي الفصل الرابع تناولت ما قرره الزحيلي من مسائل العقيدة وما يتعلق بها من أمور الغيب وعلامات الساعة.

وفي الفصل الخامس تحدثت عن تناول الزحيلي لآيات الأحكام.

ثم الخاتمة وقد ضمنتها النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي.

Abstract

Thesis title: Implementation of the Prophet's Hadith in the (*Tafsir Al-Munir*) of Wahba Al-Zuhaili

Prepared by: Nasr Al-Din Muhammad Al-Suwaii Al-Ferjani

Supervised by: Dr. Al-Hadi Muhammad Srait

The thesis consists of an introduction, a preface, and five chapters

In the introduction, I mentioned the importance of the research, problem statment, the questions of research. As for the preface, it

contains a brief overview of (*Tafsir Al-Munir*), the reasons for its authorship, its features, Al-Zuhaili's scientific life, his sheikhs, his writings, his positions, his method and his method of interpretation.

In the first chapter, I talked about the sources of Al-Zuhaili from the books of hadith with mentioning evidence from each source.

In the second chapter, I dealt with the reasons for the revelation (*Wahy*), starting with the definition, and how Al-Zahili used them in interpretation.

In the third chapter, I dealt with the general meaning of Quranic verses from the stories of the prophets and previous nations.

In the fourth chapter, I dealt with what Al-Zuhaili decided on issues of belief and related matters of the unseen (*Al-Ghayb*) and the signs of the Hour.

In the fifth chapter, I talked about Al-Zuhaili's handling of the verses of the rulings, and then the conclusion, which was included the results that I reached through my research.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[1]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[2].

فإن شرف العلم يكون بشرف المعلوم، وأشرف العلوم ما كان متعلقا بكتاب الله عز وجل، وقد تكفل الله بحفظ كتابه قال تعالي: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، وكما تكفل بحفظ كتابه فقد تكفل بحفظ سنة نبيه صلي الله عليه وسلم كما جاء في الحديث (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[3].

ثم طال الأمد علي الناس فاحتاجوا إلى مؤلفات تقرب لهم فهم كتاب الله ولتكون عبادتهم علي بصيرة، فالفت تفاسير عديدة في شرح القرآن علي اختلاف مدارسها ومن أشهرها مدرسة التفسير بالمأثور والتي غلب عليها الطابع الحديثي، وهي تعتمد علي اقتفاء ما صح من الأحاديث المروية عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وآثار الصحابة، ومن هذه التفاسير التفسير المنير لوهبة الزحيلي حيث اتسم بسهولة عرضه ويسر تناوله، وحيث إنه من التفاسير المعاصرة مما دفعني لدراسته والتعرف على مدى اعتماده في تفسيره على الحديث النبوي، وهذا ما جعلني أرغب في التعرف علي هذا العالم وكتابه، وأفرد جزئية منه بالدراسة والبحث بعنوان (إعمال الحديث النبوي في التفسير المنير لوهبة الزحيلي).

---

(1) سورة آل عمران، الآية، 102/3

(2) سورة النساء الآية،1/4

(3) سنن أبي داود، باب ما يذكر في قرن المائة،4291/109/4

أهمية الموضوع:

التفسير المنير من التفاسير المعاصرة والتي تقدم للقاري بأسلوب سهل وقد جمع فيه الزحيلي بين التفاسير القديمة والمعاصرة، وحيث إن الزحيلي من العلماء المعاصرين والذي خَلَّفَ كثيرا من المؤلفات، ومن أبرزها تفسيره المنير؛ لذا فإن دراسة هذا العالم وتفسيره المعاصر له أهمية تدفع الباحث إلى التطلع لمنهج هذا التفسير ومصادره ومقدار اعتماده على المأثور من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

إشكالية البحث وتساؤلاته.

من خلال النظر في عنوان تفسير الزحيلي والموسوم **بـ(التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)** يقع في نفس القاري رغبة في مدى مطابقة العنوان لهذا التفسير المعاصر، وماذا يقصد بكل كلمة من (العقيدة- الشريعة- المنهج)، ومدى التزام الزحيلي بما تعهد به في مقدمة تفسيره.

ثانيا: التساؤلات التي يجيب عليها البحث

- ما سمات الحياة العلمية لوهبة الزحيلي والبيئة التي استقى منها منهجه العلمي؟.
- ما منهج وهبة الزحيلي في التفسير المنير وعلاقته بتفاسير القرآن الكريم؟.
- ما طبيعة الأحاديث التي اعتمدها في تفسيره، ومنهجه في الأخذ بالصحيح وتقديمه على الضعيف؟.
- ما أبرز الإتجاهات التي وظف الزحيلي الحديث النبوي لها؟.

الدراسات السابقة:

تكمن الدراسات السابقة في الآتي:

بعد بحثي عن أي مؤلف حول التفسير المنير تبين لي الأتي:

1-رسالة ماجستير بعنوان (منهج وهبه الزحيلي في تفسيره للقرآن الكريم التفسير المنير) لمحمد عارف أحمد فارع جامعة آل البيت، وقد قام هذا الباحث بتتبع الزحيلي في تفسيره ومقارنة أقواله بأقوال أهل العلم ولكنه لم يتعرض لطريقة الزحيلي في إعمال الحديث ودرجة صحتها، وبهذا يكون بحثي متمما لما سبقه من الدراسة ، وبعد إطلاعي على رسالة محمد عارف فإني أرى أنه كان مجرد وصفا لتفسير الزحيلي وقد بالغ في مدحة وقد يكون في غير محلة كما فعل في القراءات حيث قال بأن الزحيلي قد اهتم في تفسيره بالقراءات فيرى الباحث بأنه قد جانب الصواب حيث قال[1]: إن الزحيلي قد اعتنى بالقراءات في تفسيره ومن أمثلة اهتمامه بها أنه يذكر القراءة مجردة ولا ينسبها إلي قارئها إلا قليلا..... وهذا ظاهر التناقض...

وبالإطلاع على تلك الدراسة لاحظت عدم تعرضها للحديث النبوي في تفسير الزحيلي إلا بشكل عرضي لا يفي الموضوع حقه، لذا رأيت أن أكمل تلك الدراسات بموضوعي هذا لمزيد الفائدة وإكمال الدراسة.

المنهج المتبع في البحث:

سألتزم في هذا البحث بمنهج الإستقراء والمنهج الوصفي ومنهج النقد.

حدود البحث التفسير المنير للقرآن الكريم كاملا.

---

(1) رسالة ماجستير، محمد عارف ،67

هيكل البحث:

وقد قسمت البحث إلي مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول علي النحو التالي:-

المقدمة وضمنتها أهمية الموضوع، وإشكالية البحث، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: ترجمة الزحيلي والتعريف بآثاره العلمية.

أولا: ترجمة وهبة الزحيلي.

ثانيا: التعريف بالآثار العلمية لزحيلي.

ثالثا: منهج الزحيلي وطريقته في التفسير.

أما الفصول فهي علي النحو التالي:

الفصل الأول: مصادر الزحيلي من كتب الحديث.

الفصل الثاني: إعمال الحديث في أسباب النزول

الفصل الثالث: إعمال الحديث في المعني العام للآيات القرآنية.

الفصل الرابع: اعمال الحديث في تفسير آيات العقيدة.

الفصل الخامس: إعمال الحديث في تفسير آيات الأحكام.

الخاتمة وتحتوي خلاصة البحث والنتائج.

التمهيد ترجمة الزحيلي وآثاره العمية

أولا: ترجمة وهبة الزحيلي

ولادته ونشأته: ولد وهبة مصطفى الزُّحيلي في بلدة دير عطية من ريف دمشق عام 1351هـ-1932م لأبوين كريمين موصوفين بالصَّلاح والتَّقوى، فوالده الحاج مصطفى الزُّحيلي كان حافظاً لكتاب الله تعالى، شديد التَّمسك بالسُّنة النَّبوية، كثير العبادة والصِّيام، ذا همَّةٍ عالية، وكان له الأثر الأكبر في توجيه أولاده لمتابعة التَّحصيل العلمي، وفي إطار الدِّراسات الشَّرعية بخاصَّة.

أما والدتُه فسيدةٌ فاضلة، شديدة الورع، متمسِّكةٌ بالشَّريعة عاملةٌ بها.

اتَّجه المترجَم في بداياته الأولى إلى تعلُّم القرآن الكريم، فأتقنه تجويداً في أحد كتاتيب البلدة عند امرأةٍ حافظةٍ صالحة، وأُدخل بعدها المدرسة الابتدائية الرَّسمية وأتَمَّها في بلدته أيضاً.

دراسته وشهاداته: بعد أن أنهى دراستَه الابتدائية قدم المتَرجم مدينةَ دمشق سنة 1946م وعمرُه 14 عاماً لمتابعة دراسته في معاهدها.

التحق في دمشق بالثانوية الشَّرعية التي كانت تُسمَّى كلِّية الشَّريعة، وأمضى فيها ستَّ سنوات، نال بعدها شهادة الثانوية الشَّرعية عام 1952م وكان ترتيبه الأولَ على جميع المتقدِّمين.

توجَّه بعدها إلى مصر ليكمل مسيرته العلمية، وتحصيله العلمي العالي، فالتحق بعددٍ من الكلِّيات في آنٍ واحد، فقد درس في الجامعة الأزهرية في كلِّيتي الشَّريعة واللُّغة العربية، كما درس في كلِّية الحقوق بجامعة عين شمس، وكانت حصيلة تلك الدِّراسة أن نال الشَّهادات الآتية:

1- الشَّهادة العالية في الشَّريعة الإسلامية من كلية الشَّريعة بالأزهر بتقدير ممتاز عام 1956م.

2- إجازة التَّخصص بالتَّدريس من كلية اللُّغة العربية بالأزهر عام 1957م.

3- إجازة في الحقوق من جامعة عين شمس بتقدير جيد عام 1957م.

ولم يكن وهبة الزُّحيلي قد قضى نهمته في طلب العلم بعد، فتقدَّم إلى كلٍّ من جامعتي الأزهر والقاهرة للدِّراسات التَّخصصية العليا، وتابع دراسته في كلِّية الحقوق في جامعة القاهرة بقسم الشَّريعة، ونال سنة 1959م درجة الماجستير في الشَّريعة الإسلامية، وبعد ذلك سجل أطروحته في الدكتوراه في الكلية نفسها بعنوان (آثار الحرب في الفقه الإسلامي – دراسة مقارنة)، ومنحته لجنة المناقشة الدرجة العلمية مع مرتبة الشَّرف الأولى سنة 1963م.

أساتذته وشيوخه:

هيأ الله -عز وجل- للمترجَم مجموعةً من أساتذة العلم وشيوخه في الشَّام ومصر قلَّ نظيرُها، ويندر أن تجتمع لإنسانٍ واحد، فكان بعضُ أفراد هذه الطَّبقة من العلماء أساتذة جيل، كما أن بعضهم كان صاحب نهضةٍ علميةٍ مباركةٍ جدَّدت معالم الدِّين في بداية هذا القرن. فمن أساتذته وشيوخه في الشَّام أذكر:

1- الشيخ محمد هاشم الخطيب الرِّفاعي: خطيب الجامع الأموي، ومؤسِّس جمعية التَّهذيب والتَّعليم، وقد قرأ عليه المترجَم في الفقه، وتأثَّر به في التَّوجيه وتبيان المعايير الصحيحة للإسلام.

2- الشيخ عبد الرزَّاق الحمصي: كان فقيهاً وتولى الإفتاء في الجمهورية السُّورية بين عامي 1963م -1969م، وقد قرأ عليه الشيخ الزحيلي في الفقه.

3- الشيخ محمود ياسين: أحد مؤسسي (جمعية النهضة الأدبية) و(جمعية العلماء) و(رابطة العلماء) و(جمعية الهداية الإسلامية) التي تولَّى رئاستها، وله عنايةٌ خاصَّةٌ بعلوم اللُّغة، واشتغالٌ بالحديث النَّبوي وعلومه، وقرأ عليه في الحديث.

4- الشيخ حسن الشَّطِّي: فقيهٌ حنبليٌّ فَرَضيٌّ، كان أوَّلَ مديرٍ للكلِّية الشَّرعية بدمشق، تلقَّى عليه المترجَم علومَ الفرائض والأحوال الشَّخصية.

5- الشيخ حسن حبنَّكة الميداني: أحد أفذاذ دمشق المعدودين، صاحب نهضةٍ علميةٍ متميّزة، شارك بتأسيس (مدرسة الجمعية الغرَّاء)، و(المدرسة الرَّيحانية)، و(المعهد الشَّرعي)، و(جمعية التَّوجيه الإسلامي)، كما شارك في تأسيس (رابطة العالم الإسلامي) في مكة المكرمة. حضر الأستاذ الزحيلي دروسه في التَّفسير.

6- الشيخ صادق حبنكة: أخو الشيخ حسن حبنكة، وقد حضر الشيخ الزُّحيلي دروسه في التَّفسير.

7- الشيخ صالح الفرفور: مؤسس (جمعية الفتح الإسلامي) ومعهدها، وهو من رجال التَّربية والتَّعليم البارزين، وقد قرأ عليه المترجَم في علوم اللغة العربية (البلاغة والأدب).

8- الشيخ محمد لطفي الفيومي: فقيهٌ حنبليٌّ، ومدرِّسٌ بارعٌ، قرأ عليه الزُّحيلي في أصول الفقه ومصطلح الحديث.

9- الشيخ محمود الرنكوسي: العالم العامل الفاضل، مدير (دار الحديث الأشرفية)، ورئيس رابطة العلماء، قرأ عليه الزُّحيلي في علوم العقائد والكلام.

ومن أساتذته وشيوخه في مصر:

1- الشيخ محمد أبو زهرة: الفقيه الإمام وعلم العصر، ولعلَّ الأستاذ الزَّحيلي قد تأثَّر بأسلوبه في الكتابة.

2- الشيخ محمود شلتوت: الفقيه المصلح، ومؤسس (مجمع البحوث الإسلامية).

3- الشيخ الدكتور عبد الرحمن التَّاج: شيخ الأزهر بين عامي 1954م - 1958م، وله بحوث متميَّزة.

4- الشيخ عيسى منّون: درَّس في الأزهر، ونال عضوية جماعة كبار العلماء، عُيِّن عميداً لكلية أصول الدِّين، ثم شيخاً لكلية الشَّريعة.

5- الشيخ محمد علي الخفيف: أحد أعلام القضاء والفقه في مصر، خلَّف أكثر من عشرة كتب فقهية وأصولية وعدداً كبيراً من البحوث.

وفي ذكر مشايخه وأساتذته يقول الدكتور الزحيلي: "أخذت عن شيوخ مصر العلم، وتعلَّمت من شيوخ الشَّام العمل بالعلم والورع".

أعماله ووظائفه:

التَّدريس الجامعي كان أول أعمال المترجَم بعد حصوله على درجة الدكتوراه، إذ عُيِّن مدرِّساً في كلية الشَّريعة بجامعة دمشق عام 1963م، ثم رقي إلى درجة أستاذ مساعد سنة 1969م، وأستاذاً عام 1975م.

وتنقَّل بعدها بين عددٍ من الجامعات العربية بصفة أستاذٍ زائر، فدرَّس في كلية الشَّريعة والقانون بجامعة بنغازي، وفي قسم الشَّريعة بجامعة الخرطوم بالسُّودان، والمركز العربي للدِّراسات الأمنية بالرِّياض، وأمضى خمس سنوات في جامعة الإمارات العربية في العين.

وخلال السَّنوات السَّابقة –وما يزال– شغل الدكتور الزَّحيلي عدداً من المناصب الإدارية في الجامعات التي درَّس بها؛ فقد عُيِّن وكيلاً لكلية الشريعة بجامعة دمشق عام 1967م، ثم عميداً للكلَّية بالنَّيابة بين عامي 1967م–1969م.

وعُيِّن رئيساً لقسم الشَّريعة في كلية الشَّريعة والقانون في جامعة الإمارات العربية المتحدة، ثمَّ عميداً للكلِّية بالنيابة حتى نهاية مدة إعارته سنة 1989م.

ويشغل حالياً منصب رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق.

وللأستاذ الدكتور الزُّحيلي عضويةٌ في عددٍ من المجامع العلمية والبحثية الإسلامية، ويرأس بعض الهيئات الشَّرعية الإسلامية، ومنها:

– عضوٌ خبيرٌ في كلٍّ من مجمع الفقه الإسلامي بجدة، والمجمع الفقهي بمكة المكرمة، ومجمع الفقه الإسلامي بالهند والسودان وأمريكة.

– عضوٌ في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية –آل البيت– في الأردن.

– عضو الموسوعة العربية بدمشق.

– أحد أعضاء هيئة التَّحرير في مجلَّة نهج الإسلام التي تصدر عن وزارة الأوقاف السورية.

– رئيس هيئة الرَّقابة الشَّرعية لشركة المضاربة والمقاصَّة الإسلامية في البحرين.

– رئيس هيئة الرَّقابة الشَّرعية للبنك الإسلامي الدَّولي في المؤسسة العربية المصرفية في البحرين.

– رئيس قسم الدِّراسات الشَّرعية في المجلس الشَّرعي للمصارف الإسلامية في البحرين.

– عضو هيئة الإفتاء الأعلى بالجمهورية العربية السورية.

– عضو الهيئة الاستشارية لموسوعة دار الفكر للحضارة الإسلامية.

– عضو لجنة البحوث والشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف السورية.

وله أيضاً مشاركاتٍ فاعلةٍ في المؤتمرات والنَّدوات الدَّولية الإسلامية التي تعقد في مختلف العواصم والمدن العربية والإسلامية، ومنها:

– دورات مجمع الفقه الإسلامي التَّابع لمنظَّمة العمل الإسلامي.

– دورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية –آل البيت– في عمَّان.

– ندوات هيئة الزكاة المعاصرة في الكويت والمنامة.

– النَّدوات الإسلامية الطِّبية التي تقيمها منظمة العلوم الإسلامية والطِّبية بالكويت.

– أسبوع الفقه الإسلامي في الرِّياض.

أوصافه وأخلاقه:

لقد حبا الله الأستاذ الزُّحيلي بسطةً في العلم والجسم، فهو طويل القامة، حنطيُّ اللَّون، خفيف العارضين، سريع المشي والحركة، ذو همَّة عالية.

يمتاز بحسن الخلق وطيب المعاملة، وهو لطيف المعشر، دائم البِشْر، يألف ويُؤلف.

وهو محبٌّ لطلابه وإخوانه، حريصٌ على أوقاتهم، نصوحٌ لهم، يؤثر خدمتهم، ويستجيب لدعواتهم، ويشاركهم في مناسباتهم بطيب خاطر.

وهو متواضعٌ في عزَّة، لا يرفعه علمه على الناس كبراً، ولا يضعه تواضعاً، بل هو مهيب محترم، يعرف للآخرين حقَّهم، كما يعرف حقَّ نفسه.

وهو وفيٌّ محبٌّ لأشياخه، لا يذكر أحداً منهم إلا بخير، ويكره التَّعصب المذهبي كرهاً شديداً.

ولعل من أبرز المواهب التي أفاضها الله عز وجل عليه حافظته القوية، وربما أتى إلى مناقشة بعض الرَّسائل الجامعية دون أن يصطحب معه المذكرة، ومع ذلك تراه يبرز محاسنها، ويشير إلى ملاحظاته عليها، ويملي ذلك على المناقش من ذاكرته محدداً له مواقع النَّقد من رسالته.

وقد أوتي من الصَّبر والجلد والمحافظة على الوقت وعدم إضاعته، ما يجعله في ذلك مثلاً يُحتذى.

وهو محبٌّ للسكينة والهدوء، سريع القراءة، ويعزو ذلك إلى صلته المستمرة بالكتاب، فهو لا يكاد يضيع دقيقةً واحدةً من غير قراءةً أو كتابة، وربما أمضى أكثر من ثلثي يومه بين الكتب دون أن يشعر بأدنى ملل.

أما حكمته التي تنتظم بها حياته فهي قول الله عز وجل: (واتقوا الله ويعلمكم الله) [البقرة: 282]، ويقول في ذلك: "إن سرَّ النَّجاح في الحياة إحسان الصِّلة بالله عز وجل".

وأختم بذكر شهادة أحد أساتذته فيه، يقول الأستاذ الشيخ صادق حبنَّكة: "إن الشيخ وهبة الزُّحيلي –حفظه الله وزاده بالشُّكر من خير ما أعطاه– له في قلبي مكانة مكينة ملَّكه إياها–وهو أحقُّ بها– تواضعه بلا مذلة، واستقامته بغير انحراف، ودأبه على العلم الناصح والعمل الصَّالح، وما عملت يداه من الكتب المجيدة في المواضع المفيدة".

تعريف بمؤلَّفاته:

يُعدُّ الأستاذ الدكتور وهبة الزُّحيلي من أغزر المعاصرين تأليفاً وأكثرهم إنتاجاً فكرياً، وهو يَعُد العمل بالتَّأليف بقصد نفع الآخرين وتبصيرهم بحقائق دينهم ودعوتهم إلى دين الله من أكد الواجبات، وأهم العبادات بعد أداء ما افترضه المولى عز وجلَّ.

وقد بلغت كتبه وبحوثه ومقالاته نحواً من خمس مئة، وله موقع على الشبكة يجيب فيه عن مختلف الأسئلة من بلدان العالم.

وأهمُّ مؤلفاته وآثاره:

أ- في مجال التأليف العلمي المتخصص:

للمترجَم في هذا الميدان إلى الآن أكثر من ثلاثين ومئة كتابٍ ورسالةٍ ظهرت إلى عالم الطِّباعة، أهمها:

1- آثار الحرب في الفقه الإسلامي.

2- الفقه الإسلامي وأدلته.

3- نظرية الضَّرورة الشَّرعية؛ دراسة مقارنة.

4- التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج.

5- التَّفسير الوجيز.

6- التَّفسير الوسيط.

7- الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد.

8- أصول الفقه الإسلامي.

9- الذَّرائع في السِّياسة الشَّرعية، والفقه الإسلامي.

10- العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث.

11- نظرية الضَّمان أو (حكم المسؤولية المدنية والجنائية) في الفقه الإسلامي.

12- العقود المسمَّاة في قانون المعاملات المدنية الإماراتي والقانون المدني الأردني.

13- العقوبات الشَّرعية وأسبابها، بالاشتراك مع الدكتور رمضان الشرنباصي.

14- الأصول العامة لوحدة الدَّين الحق (مترجم إلى الإنجليزية).

15- القرآن الكريم، البنية التَّشريعية والخصائص الحضارية (مترجم إلى الإنجليزية والفرنسية).

16- جهود تقنين الفقه الإسلامي.

17- فقه السُّنة النَّبوية.

18- نظام الإسلام – ثلاثة أقسام (نظام العقيدة، نظام الحكم والعلاقات الدولية، مشكلات العالم الإسلامي المعاصر).

19- الوجيز في أصول الفقه.

20- شرعة حقوق الإنسان في الإسلام، بالمشاركة.

21- الضَّوابط الشَّرعية للأخذ بأيسر المذاهب.

22- الرُّخص الشَّرعية؛ أحكامها وضوابطها.

23- الإسلام دين الجهاد لا العدوان.

24- الإسلام دين الشُّورى والدِّيمقراطية.

25- القصَّة القرآنية، هدايةٌ وبيانٌ.

26- الموازنة بين القرآن والسُّنة في الأحكام.

27- الفقه الحنبلي الميسر (بأدلته وتطبيقاته المعاصرة).

28- الخليفة الرَّاشد العادل عمر بن عبد العزيز.

29- سعيد بن المسيب (ضمن سلسلة أعلام المسلمين).

30- أسامة بن زيد (ضمن سلسلة أعلام المسلمين).

31- عبادة بن الصامت (ضمن سلسلة أعلام المسلمين).

32- المذاهب الإسلامية الخمسة، بالمشاركة.

ب- في مجال العناية بالتراث الإسلامي:

1- تخريج وتحقيق أحاديث (تحفة الفقهاء) لعلاء الدين السمرقندي.

2- النُّصوص الفقهية المختارة.

3- تخريج وتحقيق أحاديث وآثار (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي) مع التَّعليق عليها.

4- تخريج وتحقيق واختصار (مختصر الأنوار في شمائل النبي المختار) للبغوي.

5- تحقيق وترتيب (طريق الهجرتين وباب السعادتين) لابن القيم.

جـ- بحوث مقدمة إلى الموسوعات العربية والإسلامية:

1- التَّمثيل السِّياسي في الإسلام (25صفحة) الكويت.

2- أموال الحربيين (27صفحة) الكويت.

3- الأشربة (25صفحة) الكويت.

4- المرابحة (15صفحة) الكويت.

5- الوصية (40صفحة) الكويت.

6- الضرورة (20صفحة) الكويت.

7- المزارعة (20صفحة) جدة.

8- الاستصناع (17صفحة) جدة.

9- عائد الاستثمار (29صفحة) جدة.

10- الدَّعوة الإسلامية - الوسيلة - المنهج - الهدف (31صفحة) عمَّان.

11- العلم والإيمان وقضايا الشباب (14صفحة) عمَّان.

12- تبصير المسلمين لغيرهم بالإسلام - أحكامه وضوابطه وآدابه (32صفحة) عمَّان.

13- الشُّورى في العصور العباسية فكراً وممارسة (38 صفحة) عمَّان.

14- متى يجنح إلى السَّلم (40 صفحة) عمَّان.

15- الاجتهاد (5 صفحات) دمشق.

16- الإسلام والإيمان والإحسان (50 صفحة) دمشق.

17- الأصولية (10صفحات) دمشق.

18- الإفتاء (3 صفحات) دمشق.

19- أهل الذمة (15صفحة) دمشق.

20- أهل الكتاب (15صفحة) دمشق.

21- ترجمة الأستاذ عبد الوهاب خلاف (5 صفحات) دمشق.

د- البحوث التي تقدم بها إلى المؤتمرات الدولية والندوات العلمية والفكرية:

1- أثر الباعث والنية في العقود والفسوخ والتروك.

2- إسقاط الدين عن الزكاة.

3- إقليمية الشريعة والقضاء في ديار الإسلام.

4- أهمية الحفاظ على الحكومة الإسلامية.

5- زكاة الأسهم في الشركات.

6- السُّوق المالية.

7- الضرورة والحاجة وأثرهما في الأحكام الشَّرعية.

8- فلسفة العقوبة في الإسلام.

9- المصلحة المرسلة.

10- مصرف الزكاة.

11- نظام التوبة وأثرها في إسقاط العقوبات.

هـ- المقالات:

ناف عددُ المقالات التي نشرت للمترجم على المئة، معظمها توزَّع على ثلاث مجلاتٍ هي:

1- مجلَّة حضارة الإسلام الدِّمشقية، ونشرت للأستاذ ما بين سنتي 1963م – 1968م.

2- مجلَّة الوعي الإسلامي الكويتية، ونشرت للأستاذ ما بين سنتي 1966م – 1981م.

3- مجلَّة نهج الإسلام الدِّمشقية، وتنشر للأستاذ منذ سنة 1981م وحتى الآن[1].

ثانيا: منهج وهبة الزحيلي في التفسير

أولا: التعريف بالتفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج

التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج وهو في ثلاثين جزء وهو مقدم للقارئ بأسلوب عصري قدم له الزحيلي بمقدمة تعرض فيها لكثير من المعارف المتعلقة بالقرآن وعلومه منها القرآن الكريم وطريقة جمعه ونزوله وكتابته والرسم العثماني والأحرف السبعة والقراءات وما يتعلق بالإعجاز في القرآن الكريم وعربية القرآن الكريم وجواز ترجمته والأحرف المقطعة في أوائل السور والإستعارة والتشبيه وقد اتبع فيه الزحيلي نسق معين من أوله إلي آخره وهو أنه يقسمه إلى فقرات موضوعية تندرج تحتها فقرات والتي يراها تتناسب مع تفسير الآية تاركا بعضا منها في بعض الآيات، مثل ألا يكون للآية سبب في النزول، وهذه الفقرات هي الإعراب والبيان والأحكام الفقهية والمفردات اللغوية وسبب النزول ومناسبة الآية لما قبلها من الآيات ومن الملاحظ أن هذا التفقير مفيد للقارئ في فهم معاني الآيات.

ومن خلال اطلاعي علي التفسير المنير واسلوب الزحيلي فيه فإنه لا يخضع لاتباع أي جهة سواء أكانت مذهبية أم من الفرق الإسلامية، وفي هذا يقول[1]:

---

(1) بديع السيد اللحام، بحث من الانترنت بعنوان الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي عرّض مجملٌ لسيرته وثَبَتٌ بمؤلَّفاته.

(ولست في كل ما أكتب متأثرا بأي نزعة معينة، أو مذهب محدد، أو إرث اعتقادي سابق لاتجاه قديم، وإنما رائدي هو الحق الذي يهدي إليه القرآن الكريم، على وفق طبيعة اللغة العربية، والمصطلحات الشرعية، مع توضيح آراء العلماء والمفسرين، بأمانة ودقة وبعيدا عن التعصب)[2].

ويذكر الزحيلي[3] في مقدمة تفسيره الأسباب التي دفعته لكتابة هذا التفسير، وهي خمسة أمور:-

1-ربط المسلم بكتاب الله عز وجل ربطا علميا وثيقا لأن القرآن الكريم دستور الحياة البشرية العامة والخاصة للمسلمين عامة والناس قاطبة مصداقا لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا)[4].

2-لأن الإسلام يدعو إلي منهج سليم للحياء والذكر والصور والسلوك وإلى نظرة شاملة للوجود توضح علاقة الإنسان بالله تعالى والكون والحياة.

3- دعوة القرآن "الإسلام" قائمة على العلم والمعرفة الصحيحة والتجربة والعقل والفكر الناضج الذي لا يفتر من كد الذهن وتشغيل المدارك والنظرة إلي الن.

4- دعوة القرآن لا تتأثر بما يبث حولها من عراقيل، لأنها ليست روحانية مجردة ولا فلسفية خيالية في نظرية بحتة، وإنما هي دعوة واقعية مزدوجة تظم بين جنبيها الدعوة إلي عمارة الكون وبناء الدنيا والأخرة معا.

5-مساعدة المسلم على تدبر القرآن الكريم المأمور به بقوله: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[5].

ويقول الزحيلي[6]: إن منهجه في التفسير ينحصر في سبع نقاط وهي:

1-قسمت الآيات القرآنية إلى وحدات موضوعية بعناوين موضحة.

---

(1) مقدمة التفسير المنير، 8/1.

(2) التفسير المنير، 8/1

(3) محمد عارف فارع، رسالة ماجستير بعنوان منهج وهبة الزحيلي في التفسير المنير، 20.

(4) سورة الأنفال، الآية، 24/8

(5) سورة الرعد، 1/13

(6) التفسير المنير، 9/1.

2-بيان ما اشتملت عليه كل سورة إجمالا.

3-توضيح اللغويات.

4-إيراد أسباب نزول الآيات في أصح ما ورد فيها، ونبذ الضعيف منها، وتسليط الأضواء على قصص الأنبياء وأحداث الإسلام الكبرى كمعركة بدر وأحد من أوثق كتب السّيرة.

5-التفسير والبيان.

6-الأحكام المستنبطة من الآيات.

7-البلاغة وإعراب كثير من الآيات، ليكون ذلك عونا على توضيح المعاني لمن شاء، وبعدا عن المصطلحات التي تعوق فهم التفسير لمن لا يريد العناية بها.

وهو يتبع في تفسيره التفسير الموضوعي حيث يقول[1]:((سأحرص بقدر الإمكان على التفسير الموضوعي: وهو إيراد تفسير مختلف الآيات القرآنية الواردة في موضوع واحد كالجهاد والحدود والإرث وأحكام الزواج والرّبا والخمر، وسأبيّن عند أول مناسبة كل ما يتعلّق بالقصة القرآنية مثل قصص الأنبياء من آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم، وقصة فرعون مع موسى عليه السّلام، وقصة القرآن بين الكتب السماوية، ثم أحيل إلى موطن البحث الشامل عند تكرار القصة بأسلوب وهدف آخر، غير أني لن أذكر رواية مأثورة في توضيح القصة إلا بما يتفق مع أحكام الدين، ويتقبلها العلم، ويرتضيها العقل، وأيدت الآيات بالأحاديث الصحيحة المخرجة إلا ما ندر)).

(1) التفسير المنير، 9/1.

ثانيا: أهمية التفسير المنير .

تبرز أهمية التفسير المنير في عدة نقاط وقد لخصها الزحيلي[1] في سبع نقاط هي:-

1-أنه جاء جامعا بين التفسير بالمأثور والمعقول.

2-الإعتماد على التفاسير المختلفة منها القديمة والحديثة.

3-الإهتمام بأسباب النزول والمناسبات.

4-الإهتمام بالنواحي الإعرابية وذلك لتسهيل فهم كتاب الله.

5-عدم التأثر بأي نزعة من النزعات المذهبية المختلفة، والبعد فيه كل البعد عن التعصب المقيت المذموم.

6-البعد عن إستخدام الآيات القرآنية لتأييد بعض الآراء المذهبية أو العلمية.

7-الحرص على التفسير الموضوعي كل الحرص وقدر الإمكان.

ومن الجدير بالذكر أن التفسير المنير قد حظي بإهتمام الباحثين وذلك لأهميته، وسأذكر بعض الكتابات التي خطها الباحثون حول أستاذنا الزحيلي – رحمه الله – وبعض مؤلفاته، فمن ذلك:

- منهج وهبة الزحيلي في تفسيره للقرآن الكريم (التفسير المنير): رسالة ماجستير من إعداد محمد عارف أحمد فارع، نوقشت في جامعة آل البيت – الأردن (1998م).
- تعريف إجمالي للتفسير المنير: أ. د. محمد سعيد رمضان البوطي، مجلة نهج الإسلام[2].

---

(1) محمد عارق فارع، رسالة ماجستير بعنوان منهج وهبة الزحيلي في تفسير القرآن الكريم التفسير المنير، اشراف الدكتور عبدالرحيم الزقة، جامعة آل البيت، 31

(2) لحام، بديع السيد، كتاب وهبة الزحيلي: العالم الفقيه المفسر، دار القلم، 2001، 25.

ثالثا: طريقته في التفسير

إتبع الزحيلي أربعة أنواع من التفسير بالمأثور وهي تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين..[1]

أولا: تفسير القرآن بالقرآن

تكفل الله ببيان القرآن الكريم قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[2]، ومن بيان القرآن ما جاء في القرآن نفسه إذ أن تفسير القرآن بالقرآن من أصح طرق التفسير " وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم بعض الآيات بآيات أخرى، ونقل عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولا يجوز الانتقال من هذه المرحلة إلى غيرها إذا صح شيء من ذلك.ويعرف تفسير القرآن بالقرآن، بأنه بيان القرآن بالقرآن، فمتى استفدنا بيان آية من آية أخرى فهذا داخل في هذا النوع من التفسير، فمنه ما جاء صريحاً وواضحاً في القرآن نفسه كمثل: "إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ويسمى بالمتصل، ومنه ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه ما كان بالرأي والإجتهاد، وهو مقابلة آية بآية غيرها مثل: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)[3] (7) فسرت بقوله: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[4].

---

(1) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، 44/1.

(2) سورة الإنعام، الآية 105/6

(3) سورة الفاتحة، الآية، 7/1.

(4) سورة النساء، الآية، 69/4.

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة

الأمثلة على تفسير القرآن بالسنة في تفسير الزحيلي كثيرة منها:

قال الزحيلي[1]: ((تتجلى شروط الإمامة في اختيار الأكفاء، لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)[2] وإذا انضم إلى ذلك قوة العصبة والقبيلة والنفوذ كان أولى، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: (الأئمة من قريش)[3])).

وفي تفسيره لقوله تعالى :(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)[4] قال الزحيلي[5]: ((وَأَعِدُّوا الإعداد: التهيئة للمستقبل. لَهُمْ لقتالهم، قال صلّى الله عليه وسلم ثلاثا فيما رواه مسلم: «ألا إن القوة: الرمي»[6]، القوة وهي الآن: كل ما يتقوى به في الحرب. وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ، رباط الخيل: إسم للخيل التي تربط في سبيل الله، فالمراد من رباط الخيل: حبسها واقتناؤها في سبيل الله وإعدادها للجهاد باعتبار أنها كانت في الماضي أداة الحرب المهمة. تُرْهِبُونَ بِهِ تخوفون من الإرهاب والترهيب: وهو الإيقاع في الرهبة: وهي الخوف المقترن بالإضطراب)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ

---

(1) التفسير المنير، 434/2.

(2) سورة البقرة، الآية، 247/2.

(3) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني عن بكير بن وهب.

(4) سورة الأنفال، الآية، 60/8.

(5) التفسير المنير، 49/10.

(6) حدثنا هارون بن معروف، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي علي ثمامة بن شفي، أنه سمع عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر، يقول: "(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) [الأنفال: 60]، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي "جـ2، ص1522، رقم1917، صحيح مسلم باب فضل الرمي والحث عليه.

أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1].

قال الزحيلي[2]: ((واليمين المنعقدة: هي التي يكون الحلف فيها بالله أو بصفة من صفاته، لقوله صلّى الله عليه وسلّم فيما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[3]، ولا تنعقد اليمين بالحلف بغير الله من المخلوقات كنبيّ أو وليّ، بل إنه حرام)).

وقال الزحيلي: في تفسيره لقوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[4] قال[5]:((وقد أكدت السّنّة دعواهم في النجاة من النار بعد أيام قليلة. روى الإمام أحمد والبخاري والنسائي عن الليث بن سعد، والحافظ بن مردويه والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم شاة فيها سمّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: اجمعوا لي من كان من اليهود هنا، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من أبوكم؟ قالوا: فلان، قال: كذبتم، بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت. ثم قال لهم: هل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم، يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: اخسؤوا، والله لا نخلفكم فيها

---

(1) سورة البقرة،الآية،225/2

(2) التفسير المنير،22/7

(3) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، 2679/180/3، صحيح مسلم، باب النهي عن الحلف بغير الله، 1646/1267/3

(4) سورة البقرة، الآية، 80/2.

(5) التفسير المنير، 204/1.

أبدا. ثم قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه؟

قالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ فقالوا: نعم، قال: فما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرّك»[1])).

ثالثا: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

الأمثلة على تفسير القرآن بأقوال الصحابة في تفسير الزحيلي كثيرة منها:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[2] قال[3]: ((لكل ظالم عات باغ نهاية حتمية، كنهاية فرعون بالإغراق في البحر، وللمظلوم فرج قريب ونصر محقق، كإنجاء بني إسرائيل المظلومين على يد فرعون وآله. وكان الإنجاء عيدا، مستوجبا شكر الإله، وصار يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر المحرّم يوم صيام الشكر، روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمر بصيامه[4])).

رابعا: تفسير القرآن بأقوال التابعين

أمثلة تفسير القرآن بأقوال التابعين:

---

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ، باب شراء الدواب والحمر، 3169/99/4.

(2) سورة البقرة، الآية، 50/2.

(3) التفسير المنير، 163/1.

(4) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، 1136/795/1.

في تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)[1] قال الزحيلي[2]: ((وروي عن مجاهد سبب آخر لرفع الطور قال: أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب سجدا، ويقولوا: حطة، وطوطئ لهم الباب ليسجدوا، فلم يسجدوا، ودخلوا على أدبارهم، وقالوا: حنطة، فنتق فوقهم الجبل.

وأما المسخ: فرأى الجمهور أن الله تعالى مسخ المعتدين من اليهود بصيد السمك يوم السبت، وكان العمل فيه محرما من قبل موسى عليه السّلام، قال قتادة: صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، فما نجا إلا الذين نهوا – وهي الفرقة التي نهت اليهود عن المخالفة وجاهرت بالنهي واعتزلت – وهلك سائرهم.

وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية: أنه إنما مسخت قلوبهم فقط، وردّت أفهامهم كأفهام القردة)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)[3].

قال الزحيلي[4]: ((أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: كان الحارث بن يزيد من بني عامر بن لؤي يعذب عيّاش بن أبي ربيعة مع أبي جهل، ثم خرج الحارث مهاجرا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فلقيه عيّاش بالحرّة، فعلاه بالسيف، وهو يحسب أنه كافر، ثم جاء إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فأخبره فنزلت: (وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً)[5])).

---

(1) سورة البقرة، الآية: 65/2.

(2) التفسير المنير، 184/1.

(3) سورة النساء، الآية، 92/4.

(4) التفسير المنير، 199/5.

(5) سورة النساء الآية، 92.

وفي تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[1].

قال[2]: ((في سبب نزولها أخرج ابن جرير الطبري عن عكرمة، قال: قدم الحطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعاما فباعه، ثم دخل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، فبايعه وأسلم، فلما ولى خارجا، نظر إليه، فقال لمن عنده: لقد دخل علي بوجه فاجر، وولى بقفا غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتعوه في عيره، فأنزل الله: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ)، فانتهى القوم)).

(1) سورة المائدة، الآية، 2/5.

(2) التفسير المنير، 65/6.

الفصل الاول

مصادر الزحيلي من كتب الحديث

ضمن الزحيلي تفسيره ثروة من الأحاديث النبوية، و وظفها في إيضاح معاني بعض الآيات، واستنباط الأحكام الشرعية، حيث لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته إلا وأورد فيها حديثاً، ومن الملاحظ أن الزحيلي لم يتعرض لسند الحديث ولا يذكر درجته من الصحة والضعف الا في مواضع قليلة، وإنما ينسبه إلى من خرجه دون التعرض لصحته الا في موضع يسيرة، وهذه طريقة بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى التخلص من الإسناد "حيث انتصبت طبقة إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد"[1].

ومع اعتماده على الأحاديث الصحيحة من مصادرها ، إلا أنه قد وقع في تفسيره بعض الأحاديث الضعيفة، وإن كانت قليلة مقارنة بالأحاديث الصحيحة التي وظفها، ومن شواهد ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ﴾[2] قال[3]: "لا أجد مانعا من الأخذ برأي ابن تيمية ومن وافقه، لأن الطلاق هدم للأسرة، وتعريض لضياع الأولاد، وهو كما قال صلى الله عليه وسلم– فيما رواه أبو داود

وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر–: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[4].

---

(1) حاجي خليفة ، كشف الظنون، 356/1

(2) سورة البقرة، الآية، 228/2

(3) التفسير المنير، 342/2

(4) ابن حبان، المجروحين، 610/64/2 ضعيف

وفي كثير من المواضع يستدل بحديث ثم يعقب بأنه ضعيف منها:-

قال[1]: ((لا ينبغي للإنسان استدانة دين إلا لضرورة قصوى أو حاجة ملحّة لأنه ذل وهو كما جاء عنه صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه الديلمي في الفردوس عن عائشة، وهو ضعيف: «الدّين همّ بالليل، ومذلّة بالنهار»)).

ومما يؤخذ عليه أنه يذكر بعض الأحاديث في معرض كلامه دون الإشارة إلي أنها من قوله صلى الله عليه وسلم كما فعل في نفس الحديث السابق فقال[2]: ((فإن اختار الرجل التسريح على الإحسان- وهو أبغض الحلال إلى الله وهو الطلاق الذي لم يشرع إلا للضرورة، حرم عليه أخذ شيء مما أعطاها)).

وهذه الأحاديث الضعيفة التي استشهد بها في تفسيره دون بيان صحتها من ضعفها لم تكن كثيرة، بل كانت متفرقة في مواضع يسيرة من تفسيره، وسأقوم في عجالة بحصر مصادره من كتب الحديث مع ذكر بعض المواضع التي استشهد بها من كل مصدر.

أولا: مصادره من كتب الصحاح

1-صحيح البخاري استشهد به الزحيلي في إثنين وثلاثين وخمسمئة موضع، منها في تفسيره لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[3].

فقال[4]: ((الإحداد: ترك المرأة الزينة كلها من اللباس والطيب والحلي والكحل والخضاب بالحناء ما دامت في عدتها، لأن الزينة داعية إلى الأزواج. فنهيت عنها سدا للذرائع، وحماية لحرمات الله تعالى أن تنتهك.

---

(1) التفسير المنير، 125/2

(2) التفسير المنير، 335/2.

(3) سورة البقرة، الآية، 234/2.

(4) التفسير المنير، 373/2.

والحداد على القريب ثلاثة أيام فقط، وعلى الزوج أربعة أشهر وعشر، وهو مقصور على ترك الزينة والطيب وعدم الخروج من المنزل إلا لضرورة أو عذر، روى البخاري عن أم عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا، ولا تلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب، ولا تكتحل، ولا تمس طيبا إلا إذا طهرت نبذة من قسط أو أظفار»[1])).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ.

فقال[2]: ((ثم سلى الله نبيه عما يصيبه من أذى المشركين فقال: ولقد نعلم أنك يضيق صدرك.. أي وإنا لنعلم يا محمد أنك تتأذى من سخرية المشركين وشركهم، ويحصل لك ضيق صدر وانقباض، فلا يثنينك ذلك عن إبلاغ رسالة الله، وتوكل عليه، فإنه كافيك وناصرك عليهم، والجأ إليه لإزالة الانقباض والجزع. فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

أي فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة، وداوم على ذلك حتى يأتيك اليقين، أي الموت، وسمي الموت باليقين لأنه أمر متيقن، والدليل لهذا التأويل: قوله تعالى حكاية عن أهل النار: قالوا: لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين أي الموت، وهذا دليل على أن علاج ضيق الصدر هو التسبيح والتقديس والتحميد والإكثار من الصلاة، وأن العبادة كالصلاة واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتا، فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب»[3])).

---

(1)صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب القسط للحادة عند الطهر، 5341/60/7

(2) التفسير المنير، 74/14

(3) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب اذا لم يطق صلى قاعدا أو على جنب، 1117/48/2.

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1])).

فقال[2]: ((يقلب الله الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار أي إن الله عز وجل يتصرف في الليل والنهار بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وتغير أحوالهما بالحرارة والبرودة، وتعاقبهما بنظام ثابت دقيق، إن في ذلك لدليلا على عظمته تعالى، وعظة لمن تأمل فيه من ذوي العقول، كما قال تعالى: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)[3]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم- فيما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه-: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»[4])).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ

(1) سورة النور، الآية، 41/24.

(2) التفسير المنير، 266/18.

(3) سورة آل عمران، الآية، 190/3.

(4) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (وما يهلكنا إلا الدهر، الجاثية 24)، 16/6.

كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[1].

فقال: ((وعد الله رسوله بالتمكين في الأرض واستشهد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في صحيحي البخاري[2] ومسلم ومسند أحمد: «إن الله زوي لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[3].

ونظير الآية قوله تعالى: (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره، ورزقكم من الطيبات، لعلكم تشكرون)[4])).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (8) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (10))[5].

فقال[6]: ((إن دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب العيش، وكان صلى الله عليه وسلم يدخلها لحاجته، ولتذكير الناس بأمر الله ودعوته، وعرض نفسه فيها على القبائل، لعل الله أن يرجع بهم إلى الحق، وقد تاجر الصحابة وبخاصة المهاجرون

---

(1) سورة النور،الأية،24/55-56

(2) هذا مثال على تساهل الزحيلي في عزو الأحاديث الي غير رواتها فهذا الحديث ليس في البخاري

(3) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاد هذه الأمة بعضهم بعض،4/2215/2889 ، من حديث طويل ونصه (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها – أو قال من بين أقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا)

(4) سورة الانفال، الآية، 8/26.

(5) سورة الفرقان، الآية 25/10.

(6) التفسير المنير، 19/25.

في الأسواق، كما خرج البخاري عن أبي هريرة: «وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق»[1])).

من المواضع التي استشهد فيها الزحيلي بصحيح البخاري في تفسيره قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)[2] .

فقال[3]:((وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى، وما يغني عنه ماله إذا تردى أي وأما من بخل بماله، فلم يبذله في سبل الخير، واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة، وزهد في الأجر والثواب وفضل الله، وكذب بالجزاء في الدار الآخرة، فسنهيئه للخصلة العسرى والطريقة الصعبة التي لا تنتج إلا شرا، حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح، ويضعف عن فعلها، حتى يصل إلى النار، ولا يغني عنه شيئا ماله الذي بخل به، إذا سقط في جهنم.

ويلاحظ أن التيسير والبشارة في الأصل على الشيء المفرح والساتر، لكن إذا جمع في الكلام بين خير وشر، جاء التيسير والبشارة فيهما جميعا.

أخرج البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، 118/35/1.

(2) سورة الليل، الآية،

(3) التفسير المنير، 223/30.

فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى[1])).

2- صحيح مسلم:

استشهد به في عشرين ومئة موضع منها في تفسيره لقوله: (وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (67) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (68) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَإِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَيُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[2] قال الزحيلي[3]:((هذه القصة فيها العبرة والعظة ببيان بعض مساوئ يهود ومواقفهم المتشددة والمعاندة، وأهم العظات ما يلي: ليس التشدد في الدين محمودا، وليس الإلحاف في كثرة السؤال مرغوبا فيه، لذا نهانا الله تعالى عن ذلك وقت نزول القرآن، بقوله: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)[4])).

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {فأما من أعطى واتقى} [الليل: 5]،4945/170/6،صحيح مسلم، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته،2647/2040/4

(2) سورة البقرة،الآيات،67/2-73

(3) التفسير المنير،191/1

(4) سورة المائدة، الآية 101/5

واستشهد بقوله صلّى الله عليه وسلّم- فيما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما: من سأل عن شيء لم يحرّم على المسلمين، فحرّم عليهم من أجل مسألة»[1].

وأيضا ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به، فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»[2].

وقوله أيضا فيما رواه البخاري ومسلم: «... وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[3].

والسؤال المنهي عنه: مثل السؤال عما أخفاه الله تعالى عن عباده ولم يطلعهم عليه، كالسؤال عن قيام الساعة، وعن حقيقة الروح، وعن سر القضاء والقدر، والسؤال على سبيل التعنت والعبث والإستهزاء، وسؤال المعجزات، وطلب خوارق العادات عنادا وتعنتا، والسؤال عن الأغاليط، والسؤال عما لا يحتاج إليه، وليس في الجواب عنه فائدة عملية، والسؤال عما سكت عنه الشرع من الحلال والحرام)).

وعند تفسيره لقوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ)[4] استشهد بما اخرجه مسلم في جواز صلاة النافلة على الراحلة فقال الزحيلي[5]: ((لا خلاف بين العلماء في جواز النافلة على الراحلة، لما أخرجه مسلم عن ابن عمر، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلي، وهو مقبل من مكة

---

(1)صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ،باب توقيره صلى الله عليه وسلم،2358/1831/4

(2) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم، 7288/94/9، صحيح مسلم، كتاب الصيام ، باب فرض الحج مرة في العمر،1337/957/2.

(3) صحيح البخاري، كتاب اللباس ، باب ما يكره من قيل وقال، 5957/4/8، صحيح مسلم، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل، 1715/1340/2.

(4) سورة البقرة، الآية، 115/2

(5) التفسير المنير، 282/1

إلى المدينة على راحلته، حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)[1])).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (204) واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (205) إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)[2].

فقال: ((روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود، فأبيت فلي النار»[3])).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (ذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ)[4]، فقال[5]: ((أوجب الإسلام دفن جثث جثث القتلى ولو كانوا من الأعداء، فقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدفن قتلى المشركين السبعين في بدر في القليب وهي البئر العادية القديمة الكائنة في

---

(1)صحيح مسلم ،ب كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،اب جواز صلاة النافلة على الدابة، 700/486/1.

(2) سورة آل عمران ،الآية، 204/7–206

(3)صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة،81/87/1

(4) سورة الأنفال، الآية ،9/8–14

(5) التفسير المنير ،272/9

البراري روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم قام عليهم فناداهم فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا» فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون وأني يجيبون وقد جيفوا ؟ قال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»[1]. ثم أمر بهم، فسحبوا فألقوا في القليب، قليب بدر)).

تناول الزحيلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[2].

فقال[3]: ((جاء في صحيح مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت له: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[4].

وفي صحيح البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على

---

(1)صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه،2873/2203/4

(2) سورة الأنفال،الآية، 24/8–26

(3) التفسير المنير ،289/9

(4) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قصة ياجوج وماجوج، 3346/138/4 ،صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج،2880/22077/4

سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء، مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[1].

ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[2].

فقال[3]: ((ولو عاينت يا محمد حال الكفار حين تتوفاهم الملائكة، لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيعا لا يكاد يوصف، فهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، وينزعون أرواحهم من أجسادهم بشدة وعنف، قائلين لهم: ذوقوا عذاب الحريق أي عذاب النار في الآخرة، وهذا إنذار لهم بذلك العذاب.

ذلك العذاب الشديد والضرب الأليم بسبب ما قدمتم من أعمال سيئة، وارتكبتم من منكرات كالكفر والظلم في حياتكم الدنيا، ونسب ارتكاب المعاصي إلى الأيدي مع أنها تقع بغيرها كالأرجل وسائر الحواس لأن أكثر الأعمال تقع بها، جازاكم الله

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه،2493/139/3،سنن الترمذي ،باب منه ،2173/470/4

(2) سورة الأنفال، الأية،50/8-54

(3) التفسير المنير، 38/10.

بها هذا الجزاء عدلا لا ظلما لأن الله لا يظلم أحدا من خلقه، بل هو الحكم العدل الذي لا يجور أبدا، ويضع الموازين القسط ليوم القيامة، ويعطي كل ذي حق حقه، فلا تظلم نفس شيئا.

جاء في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى يقول: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا ... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]، ثم عقد الحق تبارك وتعالى مقارنة، وأعطى شبها ومثلا لعذاب المشركين، فقال: كدأب آل فرعون ... أي أنه تعالى فعل بهؤلاء المشركين المكذبين برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكفرهم بها، كما فعل بالأمم المكذبة قبلهم، فعادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون (أي قومه) في كفرهم، فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي، كما جوزي أولئك بالإغراق، كفر هؤلاء المشركون والكفار بآيات ربهم، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فالسنة والعادة في الفريقين واحدة، والجزاء من جنس العمل)).

3-صحيح ابن خزيمة[2]:

من كتب الحديث المعتبرة عند أهل السنة والجماعة، وهو من أهم الكتب التي ألّفت في الصحيح المجرد بعد الصحيحين البخاري ومسلم[3]، واسم الكتاب الأصلي هو: (مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي بنقل العدل عن العدل موصولا إليه من غير قطع في أثناء الإسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار)، اشترط أنه

(1)صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب تحريم الظلم، 2527/1994/4.

(2) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن صالح بن بكر. الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف. ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين. وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، الذهبي، سير اعلام، 365/14 ط ر

(3) احمد شاكر – مقدمة صحيح ابن حبان. الحازمي، فيض القدير، 27/1.

لا يُخرج فيه إلا حديثا صحيحا عنده، رواته ثقات عدول، وإسناده متصل غير منقطع، اختصره من المسند الكبير[1].

قال المناوي نقلا عن الحازمي: «صحيح ابن خزيمة أعلى رتبة من صحيح ابن حبان لشدة تحريه، فأصح من صنّف في الصحيح بعد الشيخين، ابن خزيمة فابن حبان فالحاكم»[2].

وقال السيوطي: «صحيح ابن خزيمة أعلى مرتبة من صحيح ابن حبان، لشدة تحرّيه، حتى أنه يتوقف في التصحيح لأدنى كلام في الإسناد»[3]

ذكره الزحيلي في تفسير آيات الصوم و فضل رمضان وهو الموضع الوحيد الذي استشهد به وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[4].

فقال الزحيلي[5]: ((والصوم محدود في أيام معدودات معينة قليلة وهي شهر في العام كله، ويمر عادة بنحو سريع، لأن أيام رمضان مباركة تفيض بالخير والإحسان، فهو كما قال صلّى الله عليه وسلّم- فيما رواه ابن خزيمة عن سلمان-: «أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»[6])).

---

(1) صحيح ابن خزيمة، 199/1

(2)المناوي ، فيض القدير، 35/1

(3) السيوطي، تدريب الراوي، 54

(4) سورة البقرة، الآية، 184/2

(5) التفسير المنير، 132/2

(6) صحيح ابن خزسمة، كتاب الصيام ، باب فضائل شهر رمضان إن صح الخبر، 1887/191/2، ، ابن حجر، لسان الميزان ،باب من اسمه مسلمة، 34/6، فيه مسلمة بن الصلت قال ابن عدي: ليس بالمعروف، الذهبي، ميزان الإعتدال، باب سلام بن صبيح، 179/2، فيه سلام بن سليمان ذكر من جرحه وفيه مسلمة بن الصلت .

4- صحيح ابن حبان البستي[1]

قال أحمد شاكر: صحيح ابن حبان كتاب نفيس، جليل القدر، عظيم الفائدة، حرَّرَهُ مؤلفه أدق تحرير، وجوَّده أحسن تجويد، وحقق أسانيده ورجاله، وعلل ما احتاج إلى تعليل من نصوص الأحاديث وأسانيدها، وتوثق من صحة كل حديث اختاره على شرطه، ما أظنه أخل بشيء مما التزم، إلا ما يخطئُ فيه البشر، وما لا يخلو منه عالم محقق"[2].

قال السيوطي:" صحيح ابن حبان، ترتيبه مخترع، ليس على الأبواب، ولا على المسانيد؛ ولهذا سماه: التقاسيم والأنواع، وسببه أنه كان عارفا بالكلام والنجوم والفلسفة، والكشف من كتابه عسير جدا[3].

ذكر الزحيلي ابن حبان واستشهد به في أحدى عشر موضعا ومن تلك المواضع أنه استشهد به في حديثه عن فضل التوكل والأخذ بالأسباب عند تفسيره لقوله تعالى: (فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[4].

فقال[5]: ((وفي كل شيء يكون التوكل مقرونا بالسعي، روى أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير،

---

(1) ابن حبان بن منقذ بن عمرو، الإمام الفقيه الحجة، أبو عبد الله الأنصاري، النجاري، المازني، المدني حفيد الصحابي الذي كان يخدع في البيوع، ويقول: "لا خلابة"، ولد في سنة سبع وأربعين، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 186/5 ط ر.

(2) احمد شاكر، مقدمة التعليقات الحسان، 13/1.

(3) السيوطي، تدريب الراوي، 115/1.

(4) سورة البقرة، لآية، 160/2

(5) التفسير المنير، 143/4،141

تغدو خماصا، وتروح بطانا»[1]، وأخرج ابن حبان في صحيحة: «حديث الرجل الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أن يترك ناقته، وقال: أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: اعقلها وتوكل»[2]، ثم أعلن الله تعالى عن مصدر النصر في الحقيقة فأخبر أنه إن أراد الله أن ينصركم في أحد، كما نصركم في بدر، حين التزمتم الطاعة، وثبتم، واتكلتم على توفيق الله ومعونته، فلا غالب لكم من الناس، وإن يرد خذلانكم وهزيمتكم ويمنعكم تأييده بما كسبت أيديكم من الفشل والتنازع وعصيان القائد فيما أمركم به، كما جرى يوم أحد، فلا يملك لكم أحد تحقيق النصر، وعلى الله فليتوكل المؤمنون، وليثقوا به بعد اتخاذ الأسباب لأنه لا ناصر لهم سواه، وفي هذا ترغيب في التوكل على الله بعد المشاورة والاستعداد وعقد العزيمة الصادقة على فعل شيء مرغوب به شرعا)).

واستشهد به أيضا في حديثه عن ما يحرم بسبب عارض وذلك خلال تفسيره لقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخالاتُكُمْ وَبَناتُ الْأَخِ وَبَناتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَأُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَرَبائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً)[3].

فقال[4]: ((ما يحرم بسبب عارض وهو الجمع بين الأختين أو بين المرأة وعمتها أو خالتها أو ابنة أخيها أو ابنة أختها، والضابط: كل امرأتين بينهما قرابة لو كانت إحداهما ذكر، لحرم عليه نكاح الأخرى، بل تظل الحرمة قائمة لو طلق

(1) ابن حبان، المقاصد الحسنة، باب حرف الام، 885/542/1.

(2) ابن حجر، فتح الباري ، تعجيل المنفعة، باب حرف النون، 310/2، فيه النعمان الغفاري قال أبو حاتم:

(3) سورة النساء، الآية (23).

(4) التفسير المنير، 216،218.

إحداهما حتى تنتهي عدتها، ويدل على ذلك ما رواه الجماعة عن أبي هريرة قال: «نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها»[1])).

وذكره الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)[2].

فقال[3]: ((أرشدت الآية الأولى إلى أن البيت الحرام أول بيت وضعه الله للعبادة، بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وهو يمتاز بمزايا عديدة هي وجود مقام إبراهيم عليه السلام، وكونه ذا بركة وخير كثير، ومصدر هداية للناس، وسبب وحدة المسلمين لاتجاههم إليهم في صلاتهم، وموضع أمن وسلام لمن دخله في الدنيا: بمنع قتله والاعتداء عليه، وفي الآخرة: يكون آمنا من النار، لقضاء النسك معظما له، عارفا بحقه، متقربا إلى الله تعالى.

وأرشدت الآية الثانية إلى فرضية الحج على المستطيع الذي لم يجد مانعا من الوصول إلى البيت الحرام، وهو فرض في العمر مرة، وتكراره كل خمس سنوات سنة، لحديث في هذا المعنى أخرجه ابن حبان في صحيحة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله عز وجل: إن عبدا صححت له جسمه، ووسعت عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي المحروم» أي من الأجر ومطرود من رضوان الله.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب النكاح ، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، 1408/1030/2

(2) سورة آل عمران، الآية، 97/2.

(3) التفسير المنير،16/4

ودل الكتاب والسنة على أن الحج على التراخي، لا على الفور، وهو مذهب الشافعية ومحمد بن الحسن، قال القرطبي: وهو الصحيح لأن الله تعالى قال: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا)[1] وسورة الحج مكية، وقال تعالى: (ولله على الناس حج البيت)[2]، وهذه السورة نزلت عام أحد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة، ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سنة عشر.

وورد في السنة ما يدل على فرضية الحج مثل حديث ضمام بن ثعلبة السعدي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله عن الإسلام، فذكر الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج. واختلف في وقت قدومه، فقيل: سنة خمس، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة تسع)).

ذكره الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[3].

فقال[4]: ((إن غض البصر وحفظ الفرج أطهر في الدين، وأبعد من دنس الذنوب، والله مطلع عالم بأفعال العباد ونيات القلوب وهمسات الألسن، واستراق السمع والبصر، وبكل شيء، لا تخفى عليه خافية، ويجازي على ذلك كله، فعورة

(1) سورة الحج،الآية27/22

(2) سورة آل عمران،الآية،97/3

(3) سورة النور،الآية،2431

(4) التفسير المنير،223/18

الرجل مع الرجل: يجوز له أن ينظر إلى جميع بدنه إلا ما بين السرة والركبة، وهما ليستا بعورة، وعند أبي حنيفة رحمه الله: الركبة عورة.

وقال مالك: الفخذ ليست بعورة أي في الصلاة لا في النظر، والدليل على أنها عورة ما روي عن حذيفة «أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به في المسجد، وهو كاشف عن فخذه، فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحاكم عن محمد بن عبد الله بن جحش: غط فخذك، فإن الفخذ عورة».

وعورة المرأة مع الرجل: إن كانت أجنبية عنه فجميع بدنها عورة، ولا يجوز له أن ينظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين لحاجتها لذلك في البيع والشراء. ولا يجوز أن يتعمد النظر إلى وجه الأجنبية لغير غرض، وإن وقع بصره عليها بغتة يغض بصره، للآية: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم.

ويجوز النظر للخطبة، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن حبان عن أبي حميد الساعدي: «إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها، إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تعلم»

ويجوز النظر عند البيع ليعرفها عند الحاجة، وكذلك يجوز عند تحمل الشهادة النظر إلى الوجه لأن المعرفة تحصل به)).

ثانياً: كتب السنن

1- سنن أبي داود[1]

استشهد به الزحيلي في ستة مواضع منها في تفسيره لقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ

(1) سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر. كذا أسماه عبد الرحمن بن أبي حاتم. وقال محمد بن عبد العزيز الهاشمي: سليمان بن الأشعث بن بشر بن شداد. وقال ابن داسة وأبو عبيد الآجري: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد. وكذلك قال أبو بكر الخطيب في "تاريخه". وزاد: ابن عمرو بن عمران. الإمام، شيخ السنة، مقدم الحفاظ أبو داود، الأزدي السجستاني، محدث البصرة، ولد سنة اثنتين ومائتين ورحل، وجمع، وصنف، وبرع في هذا الشأن، سير اعلام النبلاء.،304/13

لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[1] فقال[2]: ((جاء في مصنف أبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «المستشار مؤتمن»[3]، فإذا عزمت فتوكل على الله، أي إذا شاورتهم في الأمر، وعزمت عليه، فتوكل على الله فيه، إن الله يحب المتوكلين عليه الواثقين به، فينصرهم ويرشدهم إلى ما فيه الخير لهم، وليس معنى التوكل هو التواكل وإهمال الأسباب، وإنما هو حسن الإعتماد على الله والثقة به وتفويض النتائج إليه، بعد اتخاذ الأسباب)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[4].

وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء، قال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أين الله؟»، قالت: في السماء، قال: «من أنا؟»، قالت: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[5])).

---

(1) سورة آل عمران، الآية، 159/3

(2) التفسير المنير، 142/4،141

(3)سنن ابن ماجه، باب في المشورة 5128/333/4.

(4) سورة النساء، الآية، 92/4

(5) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة، 537/381/1، سنن أبي داود، باب الخط وزجر الطير، 3909/16/4.

2- سنن الترمذي[1]:

استشهد به الزحيلي في سبع وسبعين ومئة موضع منها في تفسيره لقوله تعالى: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[2] فقال[3]: ((لم يكن للطلاق لدى عرب الجاهلية حد ولا عدد، فكان الرجل يطلق ثم يراجع وتستقيم الحال، وإن قصد الإضرار يراجع قبل انقضاء العدة، ثم يستأنف طلاقا جديدا، مرة تلو مرة إلى أن يسكن غضبه، فجاء الإسلام لإصلاح هذا الشذوذ ومنع الضرر.

وقال في سبب نزول الآية اخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت: «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلق، وهي امرأته إذا ارتجعها، وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة وأكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك، فتبيني مني، ولا آويك أبدا، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همت عدتك أن تنقضي، راجعتك، فذهبت المرأة، وأخبرت النبي صلّى الله عليه وسلّم، فسكت حتى نزل القرآن: الطَّلاقُ مَرَّتانِ، فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ[4])).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا

---

(1) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل: هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن: الحافظ، العلم، الإمام، البارع ابن عيسى السلمي الترمذي الضرير، مصنف "الجامع"، وكتاب" العلل"، وغير ذلك اختلف فيه، فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كبره، بعد رحلته وكتابته العلم [ولد في حدود سنة عشر ومائتين وارتحل فسمع بخراسان والعراق والحرمين، ولم يرحل إلى مصر والشام ، سير اعلام النبلاء، 271/13.

(2) سورة البقرة، الآية، 29/2.

(3) التفسير المنير، 231/2.

(4) سنن الترمذي، 1192/489/2، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، باب بسم الله الرحمن الرحيم سورة البقرة، 3107/307/2 قد ضعفه غير واحد.

حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35))[1].

فقال[2]: ((للزوج الحق في تأديب زوجته ومنعها من الخروج، بقوله تعالى: فالصالحات قانتات حافظات للغيب وعلى الزوجة طاعة الزوج في غير معصية الله، والقيام بحقه في ماله وفي نفسها في حال غيبة الزوج، وفي الخبر الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة: «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لبعلها»[3].

وقال الزحيلي: للزوج حق الحجر على زوجته في مالها، فلا تتصرف فيه إلا بإذنه لأن الله تعالى جعله قواما عليها– بصيغة المبالغة، والقوام: الناظر على الشيء الحافظ له. وبهذا أخذ المالكية)).

3– سنن النسائي[4]:

استشهد به الزحيلي في إثنين وتسعين موضع منها في مسالة قتل الحر بالعبد والمسلم بالذمي في تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[5] فقال[6]: ((اختلف الفقهاء في مسألتين هما: قتل الحر بالعبد، والمسلم

---

(1) سورة النساء الآية،34/4

(2) التفسير المنير،60/5

(3) سنن ابن ماحة ، باب حق الزوج على المرأة،9370/9370/1

(4) الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، النسائي، صاحب (السنن) ،ولد بنسا في سنة خمس عشرة ومائتين، وطلب العلم في صغره، فارتحل إلى قتيبة في سنة ثلاثين ومائتين، فأقام عنده ببغلان سنة فأكثر عنه، سير اعلام النبلاء، 125/14

(5) سورة البقرة، الآية، 178/2

(6) التفسير المنير، 109/1

بالذمي، فاشترط الجمهور التكافؤ بين القاتل والمقتول في الإسلام والحرية، فلا يقتل مسلم بكافر ولا حر بعبد، ولم يشترط الحنفية التكافؤ في الحرية والدين، وإنما يكفي التكافؤ أو التساوي في الإنسانية، فيقتل المسلم بالكافر والحر بالعبد، استدل الجمهور بقول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم- فيما رواه البخاري عن علي: «لا يقتل مسلم بكافر»[1]، وبقوله عليه الصلاة والسّلام في العبد- فيما رواه البيهقي- عن ابن عباس مرفوعا: «لا يقتل حر بعبد»[2])).

واستشهد به ايضا في تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)[3] فقال[4]: ((كانت العرب تكثر من النذور، فذكر الله تعالى النوعين: ما يفعله المرء تبرعا، وما يفعله نذرا أي بإلزامه نفسه، ويخبر الله تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات، ويجازي كل واحد بحسب فعله، خيرا أو شرا، وفي الآية معنى الوعد والوعيد، فمن كان خالص النية، ينفق في طاعة الله فهو مثاب، ومن أنفق رياء أو قرن صدقته بالمن أو الأذى ونحو ذلك، فهو ظالم، يذهب فعله هدرا، ولا يجد له يوم القيامة ناصرا فيه ينقذه من عذاب الله ونقمته، ولا فرق في مشروعية نذر التبرر بين أن يكون بشرط أو بغير شرط، مثال الأول: أن يقول الناذر: لله علي أن أصوم أو أتصدق بكذا، ومثال الثاني: أن يقول: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أتصدق بكذا.

وقد اتفق العلماء على وجوب الوفاء بنذر الطاعة، وحرمة فعل المعصية المنذورة، بدليل ما أخرجه النسائي عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «النذر نذران: فما كان من نذر في طاعة الله

---

(1) البخاري ،صحيح البخاري، باب فكاك الأسير، 3047/69/4

(2) البيهقي، السنن الكبرى للبيهقي، باب لا يقتل حرا بعبد،15949/63/8في هذا الإسناد ضعف

(3) سورة البقرة، الآية، 278/2

(4) التفسير المنير، 68،69/3

تعالى، فذلك لله تعالى، وفيه الوفاء، وما كان من نذر في معصية الله تعالى، فذلك للشيطان، ولا وفاء فيه، ويكفّره ما كفّر اليمين»[1])).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)[2]

فقال[3]: ((للخمر مضاره الأدبية: وهي أنه يصبح السكران ذليلا مهينا وموضع هزء وسخرية وضحك وتهكم، لاضطراب كلامه وهيئته وحركاته، ويتجرأ السكران على القذف والشتم والسب والزنى والقتل، لذا سميت الخمر (أم الخبائث).

ومضاره العامة: إفشاء الأسرار، فكثيرا ما تسربت أخبار الدولة الخطيرة إلى الجواسيس على موائد السكر .

ومضاره الدينية: لا تتأدى من السكران عبادة صحيحة، ولا سيما الصلاة التي هي عماد الدين، فالخمر تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وبقية الواجبات الدينية، لأن السكران لا يهمه إلا معاقرة الخمر، والانقياد للأهواء والشهوات، ويصبح ضعيف الإرادة، خاملا كسولا، بل لا يستطيع الامتناع عن السكر بسهولة بسبب الإدمان، ومخالطة الكحول الدم، فيصبح المدمن متعطشا لتناول الشراب المسكر قهرا عنه ودون إرادة.

والخلاصة: إن الخمر أم الخبائث، فهي وسيلة إلى كل منكر وقبيح، روى النسائي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه، حتى

(1) سنن النسائي، باب كفارة اليمين، 3845/28/7

(2) سورة البقرة، 19/2

(3) التفسير المنير،277/2

أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تشرب من هذه الخمرة كأسا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسا، فسقته كأسا، قال: زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان، وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه"[1])).

4- سنن ابن ماجة[2]

اكثر من الإستشهاد به فقد ذكره في سبع وثمانين ومئة موضع منها ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[3].

فقال[4]: ((من مظاهر قدرة الله تعالى العظيمة أنه يقبض الأنفس والأرواح عند انتهاء آجالها، ويقبض الأنفس عن التصرف في الأجسام، جاء في حديث ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تحضر الملائكة، فإذا كان الرجل صالحا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، التي كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وابشري بروح وريحان وربّ راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء»[5])).

---

(1) سنن النسائي، ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر، من ترك الصلوات، ومن قتل النفس التي حرم الله، ومن وقوع على المحارم،5666/315/8

(2) محمد بن يزيد: الحافظ، الكبير، الحجة، المفسر أبو عبد الله بن ماجه، القزويني، مصنف "السنن"، و"التاريخ" و"التفسير"، وحافظ قزوين في عصره. ولد سنة تسع ومائتين.، سير اعلام النبلاء، 128/13.

(3) سورة الزمر، الآية، 42/39

(4) التفسير المنير، 28/24

(5) باب ذكر الموت والإستعاذة،4262/1423/2

استشهد به الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[1].

فقال[2]: ((يرفع الله درجات المؤمنين والعلماء في الثواب في الآخرة، وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم. قال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية.

وتدل هذه الآية: وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ... أيضا على أن الرفعة عند الله تعالى بالعلم والإيمان، لا بالسبق إلى صدور المجالس، فيرفع المؤمن بإيمانه أولا ثم بعلمه ثانيا، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل العلماء، منها ما رواه ابن ماجه عن عثمان رضي الله عنه: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»[3] فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم)).

ذكره الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ)[4].

فقال: ((وآية كتمان ما أنزل الله التي نزلت في أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كتم اليهود أمر رجم الزناة المحصنين، ليست خاصة بهم، وإنما العبرة بعموم اللفظ، والمراد كل من كتم الحق،

---

(1) سورة المجادلة، الآية، 11/58.

(2) التفسير المنير، 43/28.

(3) سنن ابن ماجة، باب ذكر الشفاعة، 4313/1443/2.

(4) سورة البقرة،الآية،156/2

فهي عامة في كل من كتم حكما شرعيا، أو علما نافعا، أو رأيا صحيحا خالصا نافعا للأمة، ويدل عليه ما أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة وعمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من سئل عن علم يعلمه، فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»)).

تناول الزحيل المماثلة في القصاص واستشهد بحديث خرجه ابن ماجة وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[1].

فقال[2]: ((وأرشدت أيضا آية فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم إلى مبدأ المماثلة في القصاص، ونظيرها آية: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)[3]، فمن قتل بشيء قتل بمثل ما قتل به، ما لم يقتله بفسق أو معصية كاللواط وإسقاء الخمر، فيقتل بالسيف، وهذا قول الجمهور، واستثنى المالكية أيضا القتل بالنار أو السم، لا يقتل به، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يعذب بالنار إلا الله»[4] والسم نار.

وقال أبو حنيفة، وأحمد في الأصح في مذهبه: إنه لا قود إلا بحديدة، بدليل حديث النعمان بن بشير – فيما رواه ابن ماجه والبيهقي والدار قطني –: «لا قود إلا بحديدة، ولا قود إلا بالسيف»[5].

---

(1) سورة البقرة، الآية، 194/2

(2) التفسير المنير،189/2

(3) سورة النحل، الآية،126/16

(4) مسند احمد، حَدِيثُ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ، 16034/421/25، ولفظه «إن أخذتموه فاقتلوه، فإنه لا يعذب بالنار، إلا رب النار».

(5) سنن ابن ماجة، باب لا قود إلا بالسيف، 2667/89/2.

وانفرد أبو حنيفة بالقول فيمن قتل بخنق أو بسم أو تردية من جبل أو بئر أو بخشبة، إنه لا يقتل ولا يقتص منه، إذ القتل بمثقل عنده لا يوجب القصاص، لأنه قتل شبه عمد، يوجب الدية على عاقلة القاتل. وإنما القصاص يجب بالقتل بمحدد حديد أو حجر أو خشب أو كان معروفا بالخنق والتردية)).

تناول الزحيلي القرض وهو من عقود الاحسان وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[1].

فقال: ((ثواب القرض عظيم، لأن فيه توسعة على المسلم وتفريجا عنه، أخرج ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة»[2])).

(1) سورة البقرة،الآية،247/2

(2)سنن ابن ماجة، باب القرض،2431/812/2

ثالثاً: كتب المسانيد

1-مسند الإمام أحمد[1] وقد أكثر من ذكره والإستشهاد به فقد رجع إليه في سبع وتسعين وسبع مئة موضع، ومن تلك المواضع في تفسيره لقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً)[2].

فقال[3]: ((يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون- وهذا القيد ثبت في السنة النبوية- فعليكم بالوضوء، إذ لا يقبل الله صلاة بغير طهور، فإذا كان مريد الصلاة محدثا وجب عليه الوضوء، روى البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة مرفوعا: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[4]، وفي مسند أحمد أن النبي صلّى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة غالبا، فلما كان يوم الفتح- فتح مكة- توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد، أمام الناس، لبيان جواز ذلك)).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ

---

(1) الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ، ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، سير اعلام النبلاء، 177/11

(2) سورة النساء، الآية، 43/4

(3) التفسير المنير ، 102/6-103

(4)صحيح البخاري ، كتاب الحيل ،باب في الصلاة،6954/23/9.

لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6) وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

فقال: ((يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون– وهذا القيد ثبت في السنة النبوية– فعليكم بالوضوء، إذ لا يقبل الله صلاة بغير طهور، فإذا كان مريد الصلاة محدثا وجب عليه الوضوء، وإذا كان متوضئا فهو مندوب، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه رزين: «الوضوء على الوضوء نور على نور».

روى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

وروى البخاري وأصحاب السنن عن عمرو بن عامر الأنصاري قال: سمعت أنس بن مالك يقول: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة، قال: قلت: فأنتم كيف تصنعون؟ قال: كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث».

وفي مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة غالبا، فلما كان يوم الفتح– فتح مكة– توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد، أمام الناس، لبيان جواز ذلك.

وفرائض الوضوء في الآية أربعة هي غسل الوجه، واليدين إلى المرفقين، والمسح بالرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين. والغسل: إسالة الماء على الشيء لإزالة ما عليه من الوسخ ونحوه. والمسح: إصابة الشيء الممسوح بالبلل)).

ذكره الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32)

هُـوَ الَّـذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُـدَى وَدِيـنِ الْحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَـى الـدِّينِ كُلِّـهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

فقال: ((العدوان على المسلمين، وما زالت السياسة الاستعمارية والتبشيرية تحتضن المخططات الرهيبة لتفريق المسلمين وإبعادهم عن دينهم بمختلف الوسائل الإعلامية والمواقف الحاقدة المتحيزة ضد مصالحهم في أي مكان.

وأما النور الإسلامي فهو الذي أرسل الله به رسوله بالهدى ودين الحق الذي لا يغيره ولا يبطله شيء آخر. والهدى: هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع. ودين الحق: هو الأعمال الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة.

والهدف من ذلك أن يعلي تعالى هذا الدين على جميع الأديان، ولو كره المشركون ذلك الإظهار. وقد وصفوا بالشرك بعد الوصف بالكفر للدلالة على أنهم جمعوا بين الكفر بالرسول والشرك.

وقد تحقق وعد الله ونصره، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن الله زوي لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها».

وروى الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام، يعز عزيزا، ويذل ذليلا، إما يعزهم الله، فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم فيدينون لها».

وفي مسند أحمد أيضا عن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الدين حتى تخرج الظعينة من الحيرة، حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز،

قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد»)).

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا (20).

فقال: ((يبتلي الله الناس ببعض، لنعلم من يطيع ممن يعصي، فالناس طبقات في الغنى والفقر، والعلم والجهل، والفهم والغباء، والصحة والمرض، وصاحب النعمة مسئول عمن حرم منها، والله قادر على منح الدنيا رسله الكرام، ولكنه أراد تساميهم عن الدنيا، وحشد طاقاتهم وأعمالهم للآخرة، ليقتدى بهم، كما أراد سبحانه ابتلاء العباد بهم وابتلاءهم بالعباد، ليعرف المطيع من العاصي، والمسالم من المؤذي.

أتصبرون، وكان ربك بصيرا أي اصبروا على ما أراده الله لكم، وكان ربك أيها الرسول بصيرا بمن يصبر وبمن يجزع، وبمن يستقيم وبمن يتنكر لطريق الحق، فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب.

روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ويل للعالم من الجاهل، وويل للسلطان من الرعية، وويل للرعية من السلطان، وويل للمالك من المملوك، وويل للشديد من الضعيف، وللضعيف من الشديد، بعضهم لبعض فتنة» وقرأ هذه الآية، أسنده الثعلبي رحمه الله تعالى ، وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: إني مبتليك ومبتلي بك».

وفي مسند أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة».

وفي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا، أو عبدا رسولا، فاختار أن يكون عبدا رسولا.

وقال مقاتل: إن الآية نزلت في أبي جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل وغيرهم من أشراف قريش حين رأوا أبا ذر، وعبد الله بن مسعود، وعمارا، وبلالا، وصهيبا، وسالما مولى أبي حذيفة، قالوا: أنسلم فنكون مثل هؤلاء؟! فأنزل الله تعالى يخاطب هؤلاء المؤمنين:

أتصبرون؟ أي على ما ترون من هذه الحال الشديدة والفقر والجهد)).

2- مسند أبي يعلي[1]:

استشهد به في ستين موضع منها خلال حديثه عن الاحسان في الذبح وذلك في تفسيره لقوله تعالي:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)[2].

فقال[3]: ((والمستحب أن يكون الذابح ممن ترضي حاله ويطيق الذبح، سواء كان ذكرا أو أنثى، بالغا أو غير بالغ، مسلما أو كتابيا، لكن ذبح المسلم أفضل من ذبح الكتابي، ويطلب الإحسان في الذبح، للحديث المتقدم عن أبي يعلى فيما رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[4].

قال المالكية: إحسان الذبح في البهائم: الرفق بها فلا يصرعها بعنف ولا يجرها من موضع إلى آخر، وإحداد الآلة، وإحضار نية الإباحة، والقربة، وتوجيهها إلى القبلة، والإجهاز، وقطع الودجين والحلقوم، وإراحتها وتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله بالمنة، والشكر له بالنعمة، بأنه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا)).

---

(1) الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى؛ محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء، صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب ولد في أول سنة ثمانين وثلاثمائة، سير اعلام النبلاء، 89/18.

(2) سورة المائدة، الآية، 1/5.

(3) التفسير المنير، 89/6.

(4) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، 1955/1548/3.

3- مسند البزار ذكره الزحيلي في سبع وأربعين موضع منها في بيان فضل عمارة المساجد وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[1] (18).

فقال[2]: ((ومنها أي العمارة ومنها في العمارة المعنوية: ما رواه الشيخان والحافظ أبو بكر البزار وعبد بن حميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «إنما عمّار المساجد هم أهل الله».

ومنها ما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان»[3]. قال الله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ومنها قوله عليه الصلاة والسّلام فيما رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود وهو ضعيف: قال الله تعالى: إن بيوتي في أرضي المساجد، وإن زواري فيها عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني في بيتي، فحق على المزور أن يكرم زائره»)).

وذكره أيضا في تفسيره لقوله تعالي: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[4] فقال[5]: ((أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال: مر النبي صلّى الله عليه وسلّم على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحا حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)).

---

(1) سورة التوبة، الآية، 18/9.

(2) التفسير المنير،128/10

(3) صحيح ابن حبان،1721/6/5

(4) سورة الحجر،الآية،95/15

(5) التفسير المنير، 68/14

4- مسند الفردوس للديلمي[1]:

استشهد به في سبعة عشر موضع منها في بيان جواز نكاح الائمة في تفسيره لقوله تعالى: (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2] فقال[3]: ((احل لكم ذلك – اي نكاح الأمة_ للضرورة بشروط، لما فيه من أضرار: بتعريض الولد للرّق، ولأنهنّ ممتهنات مبتذلات، خرّاجات ولاّجات، وذلك ذلّ ومهانة يرثه الولد منهن، ولأن حقّ المولى في الإماء أقوى من حقّ الزّوجية، فله الحقّ باستخدامهنّ، والسفر بهنّ وبيعهنّ، وفي ذلك مشقّة عظيمة على الأزواج.

جاء في مسند الدّيلمي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الحرائر: صلاح البيت، والإماء هلاك البيت»))

واستشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا(30)[4].

قال[5]: ((وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس مرفوعا: «التدبير نصف العيش، والتودد نصف العقل، والهمّ نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارين»

---

(1) ابن شهر دار بن شيرويه بن فنا خسره بن خسر كان، المحدث العالم، الحافظ المؤرخ أبو شجاع الديلمي الهمذاني مؤلف كتاب "الفردوس" و"تاريخ همذان". ولد سنة خمس وأربعين وأربعمائة، سير اعلام النبلاء، 295/19.

(2) سورة النساء، الآية، 25/4.

(3) التفسير المنير، 21/5.

(4) سورة الاسراء، الآية، 29/17.

(5) التفسير المنير، 60/15.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا وملكان ينزلان من السماء، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا»)).

5- مسند خيثمة[1]

استشهد به في سبعة مواضع منها فيبيان أصحاب الأعراف أثناء تفسيره لقوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49)[2].

قال[3]: ((إن أصحاب الأعراف أي السور القائم بين الجنة والنار، يترددون بين حالين: ينادون أصحاب الجنة ويسلّمون عليهم ويتأملون دخول الجنة فضلا من الله ورحمة، وهم لم يدخلوها بعد، ولكنهم يعلمون أنهم يدخلون. ويرون أهل النار فجأة من غير قصد ولا رغبة، فيسألون الله تذللا وتضرعا ألا يجعلهم معهم، وقد علموا أنه لا يجعلهم معهم.

وأصحاب الأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، في رأي جماعة من الصحابة والتابعين، قال ابن عطية: وفي مسند خيثمة بن سليمان حديث عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «توضع الموازين يوم القيامة، فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة، دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار. قيل: يا رسول الله،

---

(1) زهير بن حرب بن شداد الحرشي النسائي، ثم البغدادي الحافظ الحجة، أحد أعلام الحديث، مولى بني الحريش بن كعب بن عامر بن صعصعة، وكان اسم جده أشتال، فعرب، وقيل: شداد ولد أبو خيثمة سنة ستين ومائة قاله ابنه أبو بكر، سير اعلام النبلاء، 490/11.

(2) سورة الاعراف، الآية، 48/7.

(3) التفسير المنير، 218/8.

فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون»)).

6- مسند إبن إسحاق:

استشهد به في أربع وخمسين موضع منها في بيان حديث أدي الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك وذلك في كلامه على جواز استفاء المظلوم لحقه ممن ظلمه وذلك خلال تفسير لقوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)[1].

قال[2]: ((العقاب يكون بالمثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن استيفاء الزيادة من الظالم.

واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في أخذ مال، ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه، فقالت فرقة: له ذلك، محتجين بهذه الآية وعموم لفظها: وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ.

وقال مالك وجماعة معه: لا يجوز له ذلك لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- فيما رواه الدار قطني- «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

ووقع في مسند ابن إسحاق أن هذا الحديث إنما ورد في رجل زنى بامرأة آخر، ثم تمكّن الآخر من زوجة الثاني، بأن تركها عنده وسافر فاستشار ذلك الرجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الأمر، فقال له: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»)).

رابعاً: مصادره من كتب المستخرجات والمستدركات على الصحاح

1-المستخرج على الصحيحين (المختارة) للضياء المقدصي[3]

---

(1) سورة المائدة، الآية، 126/4.

(2) التفسير المنير، 273/14.

(3) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور، الشيخ الإمام الحافظ القدوة المحقق المجود الحجة بقية السلف ضياء الدين أبو عبد الله السعدي المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي

أورد الزحيلي حديثه في فضل سورة الملك فقال[1]: ((وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه السورة، منها: ما أخرجه الطبراني والحافظ الضياء المقدسي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»)).

2- المستخرج على صحيح البخاري للبرقاني[2]:

ذكره في تفسير سورة الغاشية واحوال الناس يوم القيامة فقال[3]:((ثم ذكر أحوال الناس فيه وانقسامهم إلى فريقين: أشقياء وسعداء، وبدأ بوصف الأشقياء لأن مبني السورة على التخويف، كما ينبئ عنه لفظ الغاشية، فقال: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ، عامِلَةٌ ناصِبَةٌ أي أصحاب وجوه، والمراد بالوجه الذات، أي أصحابها، وأصحاب الوجوه وهم الكفار، تكون في ذلك اليوم ذليلة خاضعة لما هي فيه من العذاب، ونسب الخشوع والذل إلى الوجوه لأن أثره يظهر عليها، ونظير ذلك قوله تعالى: (وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ)[4] وقوله: (وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ)[5].

وقد كان أصحابها في الدنيا يعملون عملا كثيرا، ويتعبون أنفسهم في العبادة، ولا أجر لهم عليها لما هم عليه من الكفر والضلال والإيمان باللَّه تعالى ورسوله

صاحب التصانيف والرحلة الواسعة. ولد سنة تسع وستين وخمسمائة بالدير المبارك بقاسيون،سير اعلام النبلاء 126/23

(1) التفسير المنير، 7/29

(2) الإمام، العلامة، الفقيه، الحافظ، الثبت، شيخ الفقهاء والمحدثين، أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي، ثم البرقاني، الشافعي، صاحب التصانيف سير اعلام النبلاء،465/17

(3) التفسير المنير، 206/30،205،204

(4) سورة السجدة، الآية، 12/32.

(5) سورة الشورى، الآية، 45/42.

صلّى الله عليه وسلّم شرط قبول الأعمال. والآية في القسّيسين وعبّاد الأوثان وكل مجتهد نشط في كفره .

ثم ذكر جزاء هؤلاء في يوم القيامة: (تَصْلى ناراً حامِيَةً، تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)[1] أي تدخل تلك الوجوه نارا شديدة الحرارة، وتقاسي حرها، وتعذب بها، لخسارة أعمالها، وتسقى إذا عطشوا من ماء عين أي ينبوع، آنية، أي متناهية في حرها، فهي لا تطفئ لهم عطشا.

وليس لهم طعام يتغذون به إلا الضريع: وهو شوك يابس شديد المرارة والضر، يقال له في لغة أهل الحجاز الشّبرق إذا كان رطبا، فإذا يبس فهو الضريع، وهو سم، وشر الطعام، وأبشعه وهو أخبثه، ولا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور، فلا يسمن آكله، ولا يدفع عنه الجوع، وإنما قدم المشروب على الضريع المطعوم لأن الماء لأهل النار أهم، ويغلب عليهم العطش إذا أثر فيهم حر النار، وهناك طعام آخر لأهل النار وهو الغسلين والزقّوم، قال تعالى: (وَلا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ)[2] وقال: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ)[3].

ذكر الحافظ أبو بكر البرقاني عن أبي عمران الجوني قال: مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدير راهب، فناداه: يا راهب، فأشرف، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه: عامِلَةٌ ناصِبَةٌ، تَصْلى ناراً حامِيَةً فذاك الذي أبكاني)).

3- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسبوري[4]

---

(1) سورة الغاشية،الآية،88/4-7.

(2) سورة الحاقة، الآية،69/36.

(3) سورة الدخان، الآية،44/43-44.

(4) الإمام، الحافظ، الناقد، العلامة، شيخ المحدثين، أبو عبد الله بن البيع (1) الضبي، الطهماني، النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف.

استشهد به الزحيلي في ثمانية عشر موضع منها في تفسيره لقوله تعالى: (أومن كان ميتا فاحييناها)[1] فقال[2]: ((سبب نزول الآية أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً: أخرج أبو الشيخ ابن حيان الأنصاري عن ابن عباس في قوله: أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ قال: نزلت في عمر وأبي جهل. وأخرج ابن جرير الطبري عن الضحاك مثله، وذكر أبو بكر الحارثي عن زيد بن أسلم مثله: أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً قال: عمر بن الخطاب كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ قال: أبو جهل بن هشام.

وذكر الواحدي النيسابوري عن ابن عباس قال: قوله تعالى: (أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً) يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بفرث، وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول: يا أبا يعلى، أما ترى ما جاء به، سفّه عقولنا، وسبّ آلهتنا، وخالف آباءنا؟ قال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]، اتفقت الروايات على أن الكافر الضال هو أبو جهل، وأما المؤمن المهتدي فقيل: حمزة، وقيل: عمر رضي الله عنهما، والصحيح كما قال ابن كثير والقرطبي: أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر)).

خامسا: كتب المصنفات

مولده: في يوم الاثنين، ثالث شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، بنيسابور، سير اعلام النبلاء، 163/17.

(1) سورة الأنعام، الآية، 122/6.

(2) التفسير المنير، 28/8.

(3) أسباب النزول: 128.

1-كتاب الموطأ للإمام مالك ابن أنس[1]

ذكره في تسع وعشرين موضع منها في مسالة صلاة الخوف عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (101) وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103)[2].

فقال[3]: ((الصلاة حال اشتباك القتال اختلف الفقهاء أيضا في صلاة الخوف عند التحام الحرب وشدّة القتال، وخيف خروج الوقت: فقال الحنفية: لا صلاة حال اشتباك القتال، فإن قاتلوا فيها، فسدت صلاتهم، ويؤخرون الصلاة.

وقال مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وعامة العلماء: يصلي المجاهد كيفما أمكن لقول ابن عمر: فإن كان خوف أكثر من ذلك، فيصلي راكبا أو قائما، يومئ إيماء. قال مالك في الموطأ: مستقبل القبلة وغير مستقبلها، أي أن الصلاة تكون

---

(1) هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، وهو حمير الأصغر الحميري ثم الأصبحي المدني، حليف بني تيم من قريش، ولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين، سير اعلام النبلاء، 49/8.

(2) سورة النساء، الآية، 101/4-103

(3) التفسير المنير، 248/5

بالإيماء إذا لم يقدر على الرّكوع والسجود. وقال الشافعي: لا بأس أن يضرب الضربة، ويطعن الطعنة، فإن تابع الضرب والطعن، فسدت صلاته)).

2-مصنف إبن أبي شيبة[1]:

استشهد به في عشرين موضع منها في بيان تحريم مسألة التحليل عند تفسيره لقوله تعالى: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230)[2].

قال[3]:((والتزام ما أمر الله به من المعاشرة الحسنة، فتلك حدود الله، وأما إن ظنا حين المراجعة أنهما يعودان لما كان، من إضرار بها، أو نشوز منها، فالرجوع ممقوت عند الله، وإن صح قضاء.

ويلاحظ أنه لم يقل: «إن علما أنهما يقيمان» لأن اليقين مغيب عنهما، لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن فسر الظن هاهنا بالعلم، فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى، لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيد، ولكن: علمت أنه قام، ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد، وإنما يظن ظنا.

أما نكاح التحليل المؤقت: وهو الذي يقصد به تحليل المرأة لزوجها الأول بشرط أو اتفاق في العقد أو غيره بالنية، فهو زواج باطل غير صحيح، ولا تحل به

---

(1) عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستى الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار "المسند" و"المصنف"، "والتفسير"، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي مات أبو بكر في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتي نسير اعلام النبلاء، 123/11

(2) سورة البقرة، الآية، 29/2.

(3) التفسير المنير، 237/2.

المرأة للأول الذي طلقها، وهو معصية لعن الشرع فاعلها، سواء علم الزوج المطلّق أو جهل بذلك وهو رأي مالك وأحمد والثوري والظاهرية. وقال الحنفية والشافعية: هو صحيح مع الكراهة ما لم يشترط التحليل في العقد.

والرأي الأول أصح وأحق بالاتباع، لما روى أحمد والنسائي عن ابن مسعود، وابن ماجه عن عقبة بن عامر رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلّل، لعن الله المحلّل والمحلّل له».

وروى أبو إسحاق الجوزجاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن المحلّل، قال: «لا، إلا نكاح رغبة، لا دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل، ثم تذوق العسيلة».

وروى ابن المنذر وابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا أوتى بمحلّل ومحلّل له إلا رجمتهما، فسئل ابنه عن ذلك، فقال: كلاهما زان»)).

3-مصنف عبد الرزاق:

استشهد به في أربعين موضع منها خلال حديثه عن ذم الذين يكنزون الذهب والفضة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)[1].

قال[2]:((وورد في مدح التقلل من الذهب والفضة وذم التكثر منها أحاديث كثيرة منها ما رواه عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه في قوله: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ

(1) سورة التوبة،الآية،35/9،34

(2) التفسير المنير،192/10

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: «تبّا للذهب والفضة» فقال الصحابة: يا رسول الله، فأي المال نتخذ؟ قال: «لسانا ذاكرا، وقلبا شاكرا، وزوجة تعين أحدكم على دينه»)).

استشهد به في تفصيل التسع آيات التي أرسلت على بني إسرائيل وذلك عند تفسير لقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)[1].

قال[2]:((أجاب الله تعالى المشركين في هذه الآيات عن قولهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه المعجزات القاهرة فقال: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ أي لقد أمددنا موسى عليه السلام وأعطيناه تسع آيات بيّنات، وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه، فيما أخبر به، حين أرسله إلى فرعون وقومه، فلم يؤمنوا بها، كما قال تعالى: فَاسْتَكْبَرُوا، وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ قال موسى لفرعون: لقد علمت علم اليقين أن هذه الآيات التسع ما أنزلها خالق.

والآيات التسع هي كما ذكر ابن عباس فيما رواه عنه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر: «العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم آيات مفصلات»)).

(1) سورة الاسراء،الآية،101/17

(2) التفسير المنير،182/15

سادساً: كتب المعاجم الحديثية

1- المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني

استشهد به في سبع وعشرين ومئة موضع منها خلال حديثه على تحريم الخمر وأنه أم الفواحش وذلك في تفسيره لقوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)[1].

فقال[2]: ((كان تحريم الخمر في المدينة، وكان المشروب نبيذ البر والتمر.

وقد اتفق العراقيون مع الحجازيين على أن الله حرم من عصير العنب الكثير للسكر، والقليل، لأنه ذريعة إلى الكثير، فوجب أن يكون كذلك في سائر الأنبذة حيث لا فرق، وأما أضرار الخمر فكثيرة مادية ومعنوية أشارت إليها الآية القرآنية: (إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ)[3] وجمع الحديث النّبوي الصحيح مضارها، وهو الذي رواه الطبراني عن ابن عمر: «الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة، ووقع على أمه وعمته وخالته»)).

2- معجم أبي القاسم البغوي:

استشهد به في تفسيره لقوله تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)[4].

فقال[5]:((المراد بالهم خطرات حديث النفس، والميل إلى المخالفة بحكم الطبيعة البشرية، وهذا لا مؤاخذة فيه شرعا، فلا يقال: كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها؟ ودليل رفع المؤاخذة على الهم الذي هو مرتبة دون العزم والحزم.

---

(1)سورة البقرة،الآية،219/2.

(2) التفسير المنير،276/3.

(3) السورة، الآية، المائدة، 91/5.

(4) سورة يوسف، الآية، 24/12.

(5) التفسير المنير، 234/12.

ما أورده البغوي من حديث عبد الرزاق والصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (يقول الله تعالى: إذا همّ عبدي بحسنة، فاكتبوها له حسنة، فإن عملها، فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإن همّ بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإنما تركها من جرائي، فإن عملها فاكتبوها بمثلها)[1])).

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا نعمت الله...)، 7501/149/9.

الفصل الثاني

إعمال الحديث في بيان أسباب النزول.

استخدم الزحيلي مصطلح أسباب النزول متابعة لما سبقه من أهل العلم مثل الواحدي والزرقاني والسيوطي في كتبهم وإن كان هذا المصطلح منتقد من بعض أهل العلم ويقدمون عليه مصطلح مناسبة النزول.

أولاً: معنى أسباب النزول

حادثة وقعت، أو سؤالا وجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الوحي بتبيان ما يتصل بهذه الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، وذلك مثل حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فنزلت بسببها آيات الظهار، ومثل ما حدث بين الأوس والخزرج من خصومة، بسبب تأليب أحد اليهود العداوة بينهما، فقد نزل عقبها قوله تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتاب يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِين)[1]

وسواء أكان هذا السؤال يتعلق بأمر مضى مثل قوله تعالى: (وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرا)[2]، أم يتصل بحاضر؛ مثل قوله تعالى (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[3]، أم يتصل بمستقبل؛ وذلك مثل قوله تعالى (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ...)[4]

---

(1) سورة ال عمران، الآية، 3/100-101-102-103

(2) سورة الكهف، الآية، 18/83

(3) سورة الاسراء، الآية، 17/85

(4) سورة الاعراف، الآية، 7/178

تعريف سبب النزول: هو ما نزل القرآن من اجله للإجابة عنه او لبيان حكمه زمن وقوعه[1]. والمعنى انه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية من الله تبين ما يتصل بهذه الحادثة او جوابا لهذ السؤال[2].

والمراد بأيام وقوعه أن تنزل بعده مباشرة، أو بعد ذلك بقليل، مثل الآيات المتعلقة بقصة أهل الكهف فقد نزلت بعد خمسة عشر يوما من سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم، ومثل حادثة الافك فقد نزلت الآيات المتعلقة بذلك بعد شهر.

وهذا القيد في التعريف (أيام وقوعه) يخرج الآيات التي تنزل ابتداء، بينما هي تتحدث عن قصص الأنبياء، وأحوال الأمم معهم، أو عن بعض الحوادث الماضية، كسورة الفيل مثلا، أو تتحدث عن مستقبل كاليوم الآخر وما فيه من نعيم أو عقاب؛ فإن هذه القصص والأحداث لا تعتبر أسباب نزول

ثانياً: فوائد معرفة اسباب النزول

إن معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها، قال الواحدي في كتاب أسباب النزول: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب[3].

وقال ابن دقيق العيد: معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب... ولذلك أمثلة كثيرة منها: أنه أشكل على عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة من قوله تعالى ((إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ

(1) اسباب النزول للواحدي، 8/1

(2) مناهل العرفان، 76/2

(3) التفسير المنير، 8/1.

مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما)[1]، وذلك لأن الآية نفت (الجناح) ونفي الجناح لا يدل على الفرضية، حتى سأل خالته السيدة (عائشة) رضي الله عنها عن ذلك، فأفهمته أن نفي الجناح ليس نفيا للفرضية، إنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين يومئذ من التحرج والتأثم من السعي بين الصفا والمروة؛ لأنه من عمل الجاهلية.

وقد روي في سبب هذا التحرج: أنه كان على الصفا صنم يقال له: إساف، وعلى المروة صنم يقال له: نائلة، وكان المشركون إذا سعوا تمسحوا بهما، فلما ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك ولأن الله لم يذكر السعي بين الصفا والمروة في القرآن كما ذكر الطواف بالبيت في قوله سبحانه وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ فنزلت الآية لنفي هذا الحرج، وقيل السبب أن بعض الأنصار كانوا يهلون لـ مناة الطاغية عند المشلل، فكان من أهل منهم لمناة يتحرج أن يطوف بين الصفا والمروة، تعظيما لها، فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التحرج، فأنزل الله الآية لرفع التحرج وقد جاء بهذا وذاك الروايات الصحيحة في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ولا منافاة بين الروايات، لأن فريقا منهم كان يطوف بينهما في الجاهلية فلما جاء الإسلام تحرج من ذلك، وبعضهم ما كان يطوف بينهما، ويتحرج من ذلك في الجاهلية، تعظيما لصنمهم، فلما جاء الإسلام استمروا على تحرجهم واستفهموا عن هذا، فأنزل الله هذه الآية مزيلة لحرج الفريقين.

وأيّا ما كان الأمر، فالآية لا تنافي الفرضية، كما قالت السيدة عائشة العالمة، ولو أراد الله ذلك لقال: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، كما قالت في ردها على ابن أختها وقد تأكدت فرضية السعي بين الصفا والمروة بفعله صلى الله عليه وسلم وقوله: «خذوا عني مناسككم»[2]، وقالت عائشة– أيضا– قد سن رسول الله صلى الله

(1) سورة البقرة، الآية، 158/2.

(2) سنن البيهقي، باب الإيضاع في وادي محسر،9307/125/5

عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ومعنى سن: شرع أو فرض، بدليل من السنة، لا من الكتاب، فلولا معرفة سبب النزول لما زال الإشكال ولفهم البعض الآية على غير وجهها..

ثالثا: أمثلة توظيف الحديث في أسباب النزول عند الزحيلي في تفسيره

في تفسيره لقوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)[1]

قال الزحيلي[2]: ذكر في سبب نزول هذه الآية ما أخرج الطبري عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما في نزول هذه الآية قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فكان كلما أضاءت لهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق (الخوف) أنتدخل الصواعق في مسامعهما، فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشوا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، وقاما مكانهما لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا، فنأتي محمدا، فنضع أيدينا في يده، فأصبحا فأتياه، فأسلما ووضعا أيديهما في يده، وحسن إسلامهما، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين، مثلا للمنافقين الذين بالمدينة.

(1) سورة البقرة، الآية، 17/2

(2) تفسير الطبري: 1/ 119

وكـان المنـافقون إذا حضـروا مجلـس النّبـي صـلّى الله عليـه وسـلّم، جعلـوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النّبي صلّى الله عليه وسلّم أن ينزل فيهم شيء، أو يـذكروا بشـيء، فيقتلـوا، كمـا كـان ذانـك المنافقـان الخارجـان يجعـلان أصـابعهما فـي آذانهما، وإذا أضاء لهم مشوا فيه.

فـإذا كثـرت أمـوالهم وولـد لهـم الغلمـان، وأصـابوا غنيمـة أو فتحـا، مشـوا فيـه، وقـالوا: إن دين محمـد صـلّى الله عليـه وسـلّم دين صـدق، فاسـتقاموا عليـه، كمـا كـان ذانـك المنافقـان يمشـيان إذا أضـاء لهمـا البـرق، وإذا أظلـم عليهمـا قـاموا، وكـانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين محمد، فارتدوا كفارا، كما قام ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما.

وكذلك في تفسيره لقوقه تعالى:(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)[1]

قال الزحيلي[2]:((إن سبب نزول هذه الآية هو ما أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة، فقال: «كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام، أمسكنا عنهما، فأنزل الله: (إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ[3]، ثم استشهد الزحيلي[4] بقصة عروة وسؤاله لعائشة رضي الله عنها حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال عروة سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها أرأيت قول الله تعالى إن الصفاء والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئس ما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة

---

(1) سورة البقرة، الآية، 158/2

(2) تفسير الطبري، باب وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله، 157/2/ 1643

(3) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعال،386/68/1

(4) التفسير المنير، 48/2

الطاغيــة التــي كــانوا يعبــدونها عنــد المشــلل فكــان مــن أهــل يتحــرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالوا يــا رســول الله إنــا كنــا نتحــرج أن نطــوف بــين الصــفا والمــروة فــأنزل الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية قالت عائشة رضي الله عنها وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال إن هذا لعلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون أن الناس إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة كانوا يطوفــون كلهــم بالصــفا والمــروة فلمــا ذكــر الله تعــالى الطــواف بالبيــت ولــم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية قال أبو بكر فأسمع هذه الآية نزلــت فــي الفــريقين كليهمــا فــي الــذين كــانوا يتحرجــون أن يطوفــوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت، ثم سن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بينهما[1].

ويوضح ذلك ما أخرجه الطبري عن الشعبي: أن وثنا كان في الجاهلية على الصفا، يسمى إساف، ووثنا على المروة يسمى نائلة، وكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت، مسحوا الوثنين، فلما جاء الإسلام، وكسرت الأوثان، قال المسلمون: إن الصفا والمروة إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر، قال: فأنزل الله أنهما من الشعائر. أي فلا حرج على المسلمين في السعي بينهما، لأنهم يسعون لله، لا للأصنام)).

(1) صحيح البخاري، كتاب الحج ، باب وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله، 1643/157/7.

وفي تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)[1].

قال: ((نزلت في قتلى بدر، وكانوا بضعة عشر رجلا، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، والسبب أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله هذه الآية. قال ابن عباس: قتل عمير بن الحمام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت: وَلا تَقُولُوا... الآية)).

في تفسيره لقوله تعالى:(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[2] .

قال الزحيلي[3]:((في سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: «اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان، إلا نصرتنا عليهم» فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله تعالى:(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي بك يا محمد، إلى قوله: فلعنة الله على الكافرين)[4].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة: يا معشر اليهود: اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، ونحن

(1) سورة البقرة، الآية، 153،154/2

(2) سورة البقرة،الآية،29/2

(3) التفسير المنير،219/1

(4) السيوطي، لباب النقول، باب سورة البقرة،11/1

أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله: ولما جاءهم كتاب من عند الله)[1])).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين)[2] قال الزحيلي[3]:((سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الترمذي أن يهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي، فمن صاحبك حتى نتابعك؟ قال جبريل، قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا! لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالقطر وبالرحمة تابعناك، فأنزل الله الآية إلى قوله: للكافرين[4].

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله، قالوا ذلك.

فروى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة، وما أخذ يعقوب على بنيه: لئن أنا حدثتكم عن شيء، فعرفتموه لتتابعنني على الإسلام» فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سلوا عما شئتم» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن، أخبرنا: أي الطعام حرم إسرائيل

(1) سورة البقرة ،الآية ،89/2

(2) سورة البقرة، الآية، 79/2

(3) التفسير المنير،223/1

(4) مسند أحمد، باب مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب،243/284/4

على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا: كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «علىكم عهد الله، لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني؟» فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق. فأجابهم عن الأسئلة كلها، وحينما قال لهم: «إن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه» قالوا: إنه عدونا، فأنزل الله عز وجل: قل من كان عدوا لجبريل [1]...

وروى البخاري عن أنس بن مالك قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أرض (يخترف) فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهذه جبريل آنفا» قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك.

«أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد الحوت. وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة، نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت» .

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني.

فجاءت يهود: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرأيتم إن أسلم؟» . قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن

(1) مسند احمد ،باب مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ،311/4

محمدا رسول الله. فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[1].

قال ابن حجر في فتح الباري: ظاهر السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الآية، ردا على اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ، قال: وهذا المعتمد، فقد صح في سبب نزول الآية قصة عبد الله بن سلام (السابقة) .

وجاء في بعض الروايات: أن أحد علماء اليهود من أحبار فدك عبد الله بن صوريا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الملك الذي ينزل عليه بالوحي، فقال: هو جبريل، فقال ابن صوريا: ذاك عدونا، ولو كان غيره لآمنا به، وقد عادانا جبريل مرارا، ومن عداوته أن الله أمره أن يجعل النبوة فينا، فجعلها في غيرنا، وهو صاحب كل خسف وعذاب، وأنذر بخراب بيت المقدس. وميكال يجيء بالخصب والسلام.

وفي رواية أن عمر بن الخطاب دخل مدراسهم ، فذكر جبريل، فقالوا: ذاك عدونا، يطلع محمدا على أسرارنا، وأنه صاحب كل خسف وعذاب، وأن ميكائيل ملك الرحمة ينزل بالغيث والرخاء)).

وفي تفسيره لقوله تعالى:(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)[2] قال الزحيلي[3]:((سبب نزول هذه الآية أورد المفسرون أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين إذ امتدح أبا بكر وعمر وعليا بعد أن قال فيهم لأصحابه: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء؟ فنزلت الآية، لكن قال السيوطي: هذا الإسناد واه جدا)).

---

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب خلق أدم صلوات الله عليه وذريته، 3329/132/4

(2) سورة البقرة، الآية،14/2

(3) التفسير المنير، 86/1

وفي تفسيره لقوله تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[1].

قال الزحيلي[2]: ((سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: «اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان، إلا نصرتنا عليهم» فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله تعالى:(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي بك يا محمد، إلى قوله: فلعنة الله على الكافرين)[3].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة: يا معشر اليهود: اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله:(ولما جاءهم كتاب من عند الله)[4].

وقال السدي[5]: «كانت العرب تمر بيهود، فتلقى اليهود منهم أذى، وكانت اليهود تجد نعت محمد في التوراة أنه يبعثه الله، فيقاتلون معه العرب، فلما جاءهم

---

(1) سورة البقرة، الآية،79/2

(2) التفسير المنير،

(3) السيوطي ، لباب النقول،باب سورة البقرة،11/1

(4) سورة البقرة، الآية،86/2

(5) عن أنس بن مالك، وابن عباس، وعبد خير الهمداني ، ومصعب بن مسعد، وأبي صالح باذام، ومرة الطيب، وأبي عبد الرحمن السلمي وعدد كثير .حدث عنه شعبة ، وسفيان الثوري، وزائدة، وإسرائيل، والحسن بن حي وأبو عوانة، والمطلب بن زياد، وأسباط بن نصر، وأبو بكر بن عياش وآخرون. وورد عنه أنه رأى أبا هريرة والحسن بن علي، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 246/5.

محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به حسدا، وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل»)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (114) ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم)[1].

قال الزحيلي[2]: ((هناك روايتان عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية، ففي رواية الكلبي عنه: نزلت في ططلوس الرومي وأصحابه من النصارى، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل، فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وحرفوا التوراة، وخربوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف.

وقال قتادة: هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود، وخربوا بيت المقدس، وأعانتهم على ذلك النصارى من أهل الروم.

وفي رواية عطاء عن ابن عباس: نزلت في مشركي أهل مكة، ومنعهم المسلمين من ذكر الله تعالى في المسجد الحرام. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: ومن أظلم ممن منع مساجد الله الآية.

وأخرج ابن جرير عن أبي زيد قال: نزلت في المشركين، حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية.

ورجح ابن العربي أنها نزلت في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل بيت المقدس، ثم عاد فصلى إلى الكعبة، فاعترضت عليه اليهود، فأنزلها الله تعالى له كرامة، وعليهم حجة، كما قال ابن عباس.

---

(1) سورة البقرة، الآية،114/2

(2) التفسير المنير،279/1

وعلى أي حال، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتشمل أهل الكتاب ومن على شاكلتهم، وينطبق على ما وقع من تيطس الروماني الذي دخل بيت المقدس بعد موت المسيح بنحو سبعين سنة، وخربها، وهدم هيكل سليمان، وأحرق بعض نسخ التوراة، وكان المسيح قد أنذر اليهود بذلك. كما ينطبق على مشركي مكة الذين منعوا النبي وأصحابه من دخول مكة، وكذلك على الصليبيين الذين أغاروا على بيت المقدس وغيره من بلاد المسلمين، وصدهم عن المسجد الأقصى وتخريبهم كثيرا من المساجد، ويتكرر الأمر من اليهود في الوقت الحاضر بتخريب كثير من مساجد فلسطين، وإحراق المسجد الأقصى، ومحاولات هدمه المتكررة)).

وفي تفسيره لقوله تعالى:(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)[1] قال[2]: ((سبب نزول واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى: ما رواه البخاري عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو أخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)[3] فنزلت)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية 25/2

(2) التفسير المنير،301/1

(3) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن يرى بالإعادة، 402/89/1

(4) سورة البقرة،الآية،144/2

قال: ((روى البخاري عن البراء قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأنزل الله تعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء)[1]، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قال الله تعالى: قل: لله المشرق والمغرب الآية)).

قال الزحيلي: ((سبب نزول قوله تعالى: (نَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2].

ما روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث قال: « كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ألك بينة؟ قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله، إذن يحلف، فيذهب مالي، فأنزل الله: إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا»[3].

وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى: أن رجلا أقام سلعة له في السوق، فحلف بالله، لقد أعطي بها ما لم يعطه، ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت هذه الآية: إن الذين يشترون بعهد الله.. الآية)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)[4].

---

(1) سورة البقرة الآية، 144/2

(2) سورة آل عمران، الآية، 77/3

(3) صحيح البخاري، كتاب المساقاة ، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، 2356/110/3

(4) سورة فاطر، الآية، 29/35

قال الزحيلي[1]: ((سبب نزول هذه الآية (إن الذين يتلون..:) ما أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزلت فيه: إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة الآية)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)[2].

قال الزحيلي[3]: ((سبب نزول هذه الآية وإذ صرفنا ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: إن الجن هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه، قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة، أحدهم زوبعة، فأنزل الله تعالى: وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا: أنصتوا الآية، إلى قوله: في ضلال مبين)).

وفي تفسيره لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[4] قال: ((سبب نزول الآية: ما روى البخاري عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة بن قيس، إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية.

قال الداودي: هذا وهم يعني الافتراء على ابن عباس، فإن عبد الله بن حذافة خرج على جيش فغضب، فأوقد نارا، وقال: اقتحموا، فامتنع بعض، وهم بعض أن يفعل، قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون

---

(1) التفسير المنير،259/22

(2) سورة الأحقاف، الآية،29/46

(3) التفسير المنير،60/26

(4) سورة النساء، الآية، 56/4

غيره، وإن كانت نزلت بعد، فإنما قيل لهم: «إنما الطاعة في المعروف» وما قيل لهم: لم لم تطيعوه؟

وأجاب الحافظ ابن حجر بأن المقصود من قصته: فإن تنازعتم في شيء، فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة والتوقف، فرارا من النار، فتناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرد إلى الله والرسول)).

وفي سبب النزول لقوله تعالى:(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[1]،قال الزحيلي [2]: ((روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا بدرا، حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة، وآذن الناس بالرحيل ... فأنزل الله توبتنا: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين إلى قوله: إن الله هو التواب الرحيم قال: وفينا نزل أيضا: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين.

تناول الزحيلي الطلاق وذلك في تفسيره لقوله تعالي: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ

(1) سورة التوبة، الآية،117/9

(2) التفسير المنير،65/11

ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1] فقال[2]: ((سبب نزول الآية ما أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلق، وهي امرأته إذا ارتجعها، وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة وأكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك، فتبيني مني، ولا آويك أبدا، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همت عدتك أن تنقضي، راجعتك، فذهبت المرأة، وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم، فسكت حتى نزل القرآن: الطلاق مرتان، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وقوله تعالى: ولا يحل لكم ... الآية: أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس قال: كان الرجل يأكل من امرأته نحلة– عطاءه– الذي نحلها وغيره، لا يرى أن عليه جناحا، فأنزل الله: ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا)).

قال الزحيلي[3]: في سبب نزول الآية: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا)[4] قال ابن عباس: لما نزلت: وإن تتولوا كما توليتم من قبل.. الآية، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله: ليس على الأعمى حرج)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)[5] قال[6]: ((أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية، فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعد ما فرغوا –لم يشهدوا الغنيمة –، فنزلت: وفي أموالهم حق للسائل والمحروم.

---

(1) سورة البقرة، الآية، 229/2

(2) التفسير المنير،331/2

(3) التفسير المنير، 186/26

(4) سورة الفتح، الآية،17/48

(5) سورة الذاريات، الآية، 19/51

(6) التفسير المنير، 14/24

قال ابن كثير: وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية، وليس كذلك، بل هي مكية.

وقال[1]: في تفسيره لقوله تعالى: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)[2].

أخرج الواحدي والطبراني عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «كذبت اليهود، ما من نسمة يخلقه الله في بطن أمه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد»، فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: هو أعلم بكم إذ أنشأكم)).

وفي تفسيره لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)[3].

قال[4]: ((أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن أنس قال: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فقيل له، راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة.

---

(1) التفسير المنير،119/24

(2) سورة النجم، الآية،32/53

(3) سورة الطلاق، الآية،1/65

(4) التفسير المنير، 265/2

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر: «أنه طلق امرأته، وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتغيظ منه، ثم قال: ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل»[1])).

تعهد الزحيلي بأن يتجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أسباب النزول وفي أثناء التفسير نجد أنه يذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة، ومن الملاحظ أنه بعد أن يذكر الحديث يعقب بقوله موضوع أو ضعيف ومثال ذلك ما فعله في سبب نزول قوله تعالى: ومن يتق الله..:

قال الزحيلي[2]: ((سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه الحاكم عن جابر قال: نزلت هذه الآية: ومن يتق الله يجعل له مخرجا في رجل من أشجع كان فقيرا، خفيف ذات اليد، كثير العيال، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله، فقال له: اتق الله، واصبر، فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ابن له بغنم، وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها، فقال: كلها، فنزلت[3]. قال الذ هبي: حديث منكر، له شاهد .

وأخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عباس قال: «جاء عوف بن مالك الأشجعي، فقال: يا رسول الله، إن ابني أسره العدو، وجزعت أمه، فما تأمرني؟ قال: آمرك وإياها أن تستكثروا من: لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت المرأة: نعم ما أمرك، فجعلا يكثران منها، فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، فنزلت: ومن يتق الله يجعل له مخرجا»[4])).

---

(1)صحيح البخاري ، كتاب الشركة ، باب من طلق ،وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق، 4908/155/6

(2) التفسير المنير265/28

(3) اخرجه السيوطي، لباب النقول، باب سورة الطلاق،198/1

(4) الشوكاني، فتح القدير، باب سورة الطلاق،291/5

وفي كثير من المواضع يستدل بحديث ثم يعقب بأنه ضعيف منها قال: ((لا ينبغي للإنسان استدانة دين إلا لضرورة قصوى أو حاجة ملحّة لأنه ذل وهو كما جا عنه صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه الديلمي في الفردوس عن عائشة، وهو ضعيف[1]: «الدّين همّ بالليل، ومذلّة بالنهار»)).

قال الزحيلي[2]:((إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[3].

سبب النزول: إنا كفيناك: ما أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحا حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: إنا كفيناك المستهزئين)) .

انتظار الصلاة بعد الصلاة من الأمور عظيمة الأجر تناول الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[4].

فقال[5]:((سبب نزول الآية ما أخرج البزار عن بلال قال: كنا نجلس في المسجد، وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت هذه الآية: تتجافى جنوبهم عن المضاجع لكن في إسناده ضعيف.

---

(1) التفسير المنير،125/2

(2) التفسير المنير،68/14

(3) سورة الحجر، الآية،95/15

(4) سورة السجدة، الآية، 16/3

(5) التفسير المنير،204/21

وذكره الواحدي النيسابوري عن مالك بن دينار قال: سألت أنس بن مالك عن هذه الآية فيمن نزلت، قال: كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. وهذا مروي عن قتادة وعكرمة.

وأخرج الترمذي وصححه عن أنس: أن هذه الآية نزلت في انتظاره الصلاة التي تدعى «العتمة» أي العشاء، وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال: هي قيام العبد أول الليل، وقال الحسن البصري ومجاهد ومالك والأوزاعي: نزلت في المتهجدين الذين يقومون الليل إلى الصلاة، ويدل على صحة هذا السبب ما أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم، وابن جرير والحاكم وابن مردويه عن معاذ بن جبل قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه، ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ: تتجافى جنوبهم عن المضاجع- حتى بلغ- جزاء بما كانوا يعملون.

ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت: بلى، يا رسول الله، فقال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت: بلى، يا نبي الله، فأخذ بلسانه، ثم قال: كف عليك هذا، فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم- أو قال على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم»))

ويقول الزحيلي[1]: إنه لا يرى مانع من تعدد أسباب النزول، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك:-

- تعدد الأسباب والنازل واحد:

قال الزحيلي[2]: ((في تفسيره لقوله تعالى:(وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذا سَجى، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى)[3] وسبب نزول هذه الآية ما أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله: وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذا سَجى، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ، وَما قَلى[4].

وأخرج سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال المشركون: قد ودّع محمد، فنزلت.

وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: مكث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أياما لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودّعك وقلاك، فأنزل الله: وَالضُّحى.. الآيات.

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد: أن خديجة قالت للنبي صلّى الله عليه وسلّم: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فنزلت[5]. والخبر مرسل، ورواته ثقات. قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلا من أم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل قالته شماتة، وخديجة قالته توجعا.

---

(1) التفسير المنير، 289/3

(2) التفسير المنير،139/16

(3) سورة الضحى، الآية،13/93

(4) صحيح البخاري، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل،4983/182/6

(5) مصنف ابن أبي شيبة،31764/323/6

والخلاصة: أبطأ جبريل عليه السلام على النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال المشركون:

قلاه الله وودّعه فنزلت الآية، والضحى والليل اذا سجى..: وهي من الآيات التي ورد لها اكثر من سبب نزول فقد ذكر الزحيلي ثلاثة أسباب لنزولها حيث قدم الروايات الأقوى في سبب نزولها ولكنه ولم يشر إلي رواية الجرو وضعفها)).

يرى الزجيلي أنه من تعدد اسباب النزول قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم للآية الواحدة في أماكن متعددة كما فعل في تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[1] فقال[2]:((سبب نزول هذه الآية وذكر أربع مواقع:

1-روى البخاري والترمذي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: مرّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وهو يسوق غنما له، فسلّم عليهم، فقالوا: ما سلّم علينا إلا ليتعوّذ منا، فعمدوا إليه، فقتلوه، وأتوا بغنمه النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فنزلت: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ الآية.

2-وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سريّة فيها المقداد، فلما أتوا القوم، وجدهم قد تفرّقوا، وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال له النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «كيف لك بلا إله إلا الله غدا؟» وأنزل الله هذه الآية.

---

(1) سورة النساء، الآية،94/4

(2) التفسير المنير،214/5

3-وأخرج أحمد والطبراني وغيرهما عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: بعثنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلّم بن جثّامة، فمرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلّم علينا، فحمل عليه محلّم، فقتله، فلما قدمنا على النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الآية. وأخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه.

4-وروى الثعلبي عن ابن عباس أن اسم المقتول مرداس بن نهيك الغطفاني من أهل فدك، وأن اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السّريّة غالب بن فضالة الليثي، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان ألجأ غنمه بجبل، فلما لحقوه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد، فلما رجعوا نزلت الآية.

ولا مانع من تعدد أسباب النزول، سواء بعد إعلان صاحب الغنم التحية الإسلامية (كما في رقم 1، 3) أو اتّقاء للسلاح في الحرب، وكان القاتل المقداد (رقم 2) أو محلّم (رقم 3) أو أسامة (رقم 4)، وكان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يقرأ الآية على أصحابه في كل موضع)).

قسم الزحلي تفسيره إلي وحدات موضوعية مكونة من عدة فقرات وقد حافظ على هذا التقسيم من حيث الشكل ولكن من حيث المحتوى لم يكن موفقا فكما وقع في فقرة المفردات اللغوية من مخالفة لمحتواها حيث جعله تفسرا بدلا من أن يذكر الإشتقاق اللغوي للكلمة القرآنية وجذرها، كذلك في بعض الاماكن بعد أن يفرد فقرة مستقلة بعنوان سبب نزول الآية نجده يتناول سبب نزول نفس الآية في فقرة أخرى مخلا بما اشترط على نفسه من اتباع نضام التفقير ومثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا

وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)(92)

قال الزحيلي[1]: ((في سبب نزول الآية (وَما قَدَرُوا اللَّهَ) ما نصه: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصّيف، فخاصم النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال له النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السّمين؟» وكان حبرا سمينا، فغضب، وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك، ولا على موسى، فأنزل الله: وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ الآية. وهو خبر مرسل، وأخرج ابن جرير الطبري نحوه عن عكرمة.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي: قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتابا؟ قال: نعم، قالوا: والله، ما أنزل الله من السماء كتابا، فأنزل الله تعالى: (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ)، ويؤيده قول الحسن وسعيد بن جبير: الذي قال: ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ هو أحد اليهود، قال: لم ينزل الله كتابا من السماء، وقال السدي: اسمه فنحاص.

وعن سعيد بن جبير أيضا قال: هو مالك بن الصيف.

وقال محمد بن كعب القرظي: أمر الله محمدا صلّى الله عليه وسلّم أن يسأل أهل الكتاب عن امره، وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسد محمد أن كفروا بكتاب الله ورسوله، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وذكر عن ابن عباس في رواية أخرى: أن آية: إِذْ قالُوا: ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ يعني مشركي قريش. وهذا هو الراجح، كما سأبين. ثم قال في فقرة

(1) التفسير المنير،287/7

التفسير والبيان[1] إن منكري الوحي الذين يكفرون برسل الله: وهم إما قريش أو طائفة من اليهود، كما ذكر في سبب النزول، ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق تعظيمه إذ كذبوا رسله إليهم، وقالوا: ما أنزل الله كتابا من السماء.

قال ابن كثير: والأول (أي نزولها في قريش) أصح لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد صلّى الله عليه وسلّم لأنه من البشر ، كما قال: (أَكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ)[2] ،وقال عز وجل: (وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا: أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا. قُلْ: لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ، لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا)[3]، وقال هاهنا: (وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا: ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ)).

(1) التفسير المنير،288/7

(2) سورة يونس ، الاية ،2/10

(3) سورة الإسراء، الآية، 94/17-95

الفصل الثالث

إعمال الحديث في المعنى العام للآيات القرآنية.

أولا: دور الحديث في أحوال الأمم السابقة

وظف الزحيلي الحديث النبوي في تفسير قصص الأمم السابقة ومنه توظيفه للحديث في بيان قصة ثمود قوم صالح وذلك في تفسيره لقوله تعالى:(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79)[1] قال: ((.....ثمود- قوم صالح- بعد عاد، ورثوا أرضهم وديارهم، وكانت مساكنهم بالحجر بين الحجاز والشّام، قال الإمام أحمد عن ابن عمر قال: لما نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس على تبوك، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها، ونصبوا لها القدور، فأمرهم النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم، حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها النّاقة، ونهاهم أن يدخلوا

(1) سورة الأعراف، الآيات، 73/7 ...79.

على القوم الذين عذبوا، وقال: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم».[1]

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم»[2])).

وقع في تفسير الزحيلي من الإسرائيليات الشيء اليسير فهو في ذكره لقصة ثمود وحالهم مع نبيهم صالح قال[3]:((... كانوا هم الذين سألوا صالحا أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها: الكاتبة. فأخذ عليهم العهود والمواثيق: لئن أجابهم الله إلى سؤالهم ليؤمنن به وليتبعنه، فلما أعطوه ذلك عهودهم ومواثيقهم، قام صالح عليه السلام إلى صلاته، ودعا الله عز وجل، فتحركت تلك الصخرة، ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها، كما سألوا، والله على كل شيء قدير)).

وهذه من الإسرائيليات قال الشيخ السعدي في تفسيره واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح[4].

وفي هذه القصة التي أوردها الزحيلي ما يعارض القرآن نفسه وهو قوله تعالى: (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)[5]: (...وأن

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، 2980/2285/4.

(2) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواقع الخسف، 433/94/1.

(3) التفسير المنير، 272/8.

(4) السعدي، تفسير الكريم المنان، 294/1-295.

(5) سورة هود، الآية، 53/11.

صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال)[1].

قال السعدي[2]: القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحا قال لهم: (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ) أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم [احمرار وجوههم، واصفرارها واسوادادها من العذاب])).

ومن توظيفه للحديث في بيان قصة عقر ثمود الناقة بعد أن كانت لهم آية من الله في تفسيره لقوله تعالى: (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[3] قال[4]:((فَعَقَرُوا النَّاقَةَ نحروها بالذّبح، وأصل العقر: الجرح، وعقر الإبل: قطع قوائمها، وكانوا يفعلون ذلك بها قبل نحرها لتموت في مكانها ولا تنتقل، والذي عقرها هو: «قدار بن سالف» حيث قتلها بأمرهم بالسّيف، وإنّما نسب الله الفعل إليهم جميعا مع أن قاتلها واحد، كما جاء في سورة القمر(فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطى فَعَقَرَ) [29] لرضاهم جميعا بفعله، وكما قال تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها، فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها، وَلا يَخافُ عُقْباها)[5]، واستشهد بما في صحيح البخاري مرفوعا: «فانتدب لها رجل ذو عزة ومنعة في قومه كأبي زمعة»[6])).

---

(1) التفسير المنير، 195/1.

(2) السعدي، تفسير الكريم المنان، 295/1

(3) سورة الاعراف، الآية، 77/7

(4) التفسير المنير، 269/8

(5) السورة الآية، 91/ 14-15

(6) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله وإلي ثمود أخاهم صالحا، 3377/148/4.

ثم فسر قوله تعالى: (عتوا عن أمر ربهم) بأنهم تمردوا عن إتباع رسالة صالح وأعرضوا عن امتثال أمر ربهم، ما أمرهم به على لسان صالح عليه السلام، من قوله: فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ... وقالوا: يا صالح، ائتنا بما وعدتنا به من العذاب والانتقام، إن كنت رسولا، وتدعي الصدق فيما تبلغ به عن الله.

ثم ذكر ما روى الإمام أحمد والحاكم عن جابر قال: لما مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالحجر قال: ((«لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح، فكانت- يعني الناقة- ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم، فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوما، ويشربون لبنها يوما، فعقروها، فأخذتهم صيحة، أخمدهم الله بها من تحت أديم السماء، إلا رجلا واحدا كان في حرم الله، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»[1])).

وفي تفسيره قوله تعالى: (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[2].

قال[3]: ((حَتَّى عَفَوْا أي كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم، يقال: عفا الشيء: إذا كثر، وذلك لأن الرخاء يكون عادة سببا في كثرة النسل.

وَقالُوا: قَدْ مَسَّ... أي ابتليناهم بالشدة والرخاء، وقالوا غير معتبرين قد مسّنا من البأساء والضراء، وما بعده من الرخاء، مثل ما أصاب آباءنا في قديم الزمان، وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء ويصبرون على الضراء)).

---

(1) مسند أحمد، باب عن جابر رضي الله عنه، 66/22/ 14160.

(2) سورة الاعراف، الآية، 95/7.

(3) التفسير المنير، 13/9-15.

ثم استشهد بحديث في الصحيحين: «عجبا لأمر المؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيرا له، وإن أصابته سرّاء شكر، فكان خيرا له»[1].

فالمؤمن يتنبه لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد: «لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيا من ذنوبه، والمنافق مثله كمثل الحمار، لا يدري فيم ربطه أهله، ولا فيم أرسلوه»[2].

ثم ذكر في ذم موت الفجأة (فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً...) أي عاقبناهم بالعقوبة على بغتة، ليكون أكثر حسرة، كما في قوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ، فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا، أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً، فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ)[3].

واستشهد بالحديث الذي رواه أحمد والبيهقي عن عائشة: «موت الفجأة رحمة للمؤمن، وأخذة أسف للكافر»[4]، فما على الناس مؤمنين وكفارا إلا الاتعاظ بما حل بغيرهم.

تعهد الزحيلي بأنه سوف يكون بعيدا عن التعصب للمذهب ومتبعا للدليل وأنه سوف يقدم أولى الاقوال بالصواب، ولكنه يخالف قوله أثناء تفسيره كما فعل في مسألة أهل الفترة حيث قال في تفسيره لقوله تعالى:(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)[5].[6]

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ وإنما (عَجَبً الأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَه كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكان خَيْرً اله، وإنْ أصابَتْه ضَرَّاءُ، صَبَر فَكان خَيْرا له)، صحيح مسلم، باب المسلم أمره كله خير، 2245/2259/4.

(2) لم أجده في مسلم بهذا الفظ وإنما في عمدة التفاسير لأحمدشاكر،44/2 وقال: أوله ثابت من حديث أبي هريرة.

(3) سورة الانعام الآية، 44/6.

(4)قال السخاوي إسناده صحيح، المقاصد الحسنة، 510، ضعفه أحمد شاكر في عمدة التفسير، 45/2 .

(5) سورة الفاتحة ،الآية،7/1

(6) سورة الفاتحة، /7

فقال[1]: ((وأما الذين جاءوا على فترة من الرّسل كأهل الفترة في عصر الجاهلية، فلا يكلفون في رأي الجمهور بشريعة، ولا يعذبون في الآخرة، لقوله تعالى: وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا. وقال جماعة من العلماء: إنهم يكلّفون ويعذّبون، لأن العقل وحده كاف في التكليف، فمتى أوتيه الإنسان، وجب عليه النظر في ملكوت السموات والأرض، والتدبّر والتفكّر في خالق الكون، وما يجب له من عبادة وإجلال، بقدر ما يهديه عقله، ويصل إليه اجتهاده، وبذلك ينجو من العذاب)).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)[2]، قال[3]: ((تدل آية وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا على أن أهل الفترة (فترة انقطاع الرسل) الذين لم تصلهم رسالة، وماتوا ولم تبلغهم الدعوة وهم أهل الجاهلية وأمثالهم في الجزر النائية الذين لم يسمعوا بالإسلام في زماننا هم ناجون، من أهل الجنة. ومثلهم أولاد المشركين والكفار الذين ماتوا وهم صغار قبل التكليف، وآباؤهم كفار، وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف)).

وهذا القول من الزجيلي خلاف لما عليه كبار المفسرين فقد قال[4] ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[5].

((بقي ههنا مسألة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا، هي الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم! وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف، ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوته. وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه، ثم نذكر فصلا ملخصا من كلام الأئمة في ذلك والله

---

(1) التفسير المنير،66/1

(2) سورة الإسراء، الآية، 15/17

(3) التفسير المنير،39/15

(4) مختصر تفسير ابن كثير،368/2

(5) سورة الإسراء، الآية، 15/17

المستعان. (فالحديث الأول): رواه الإمام أحمد عن الأسود بن سريع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة. فالأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفطرة فيقول: رب ما أتاني لك رسول. فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت بردا وسلاما")).

وقال[1] القرطبي: في تفسيره لقوله تعالى:(ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (134) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى)[2].

((روى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال: (يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول– ثم تلا–" ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم ردوها وادخلوها– قال– فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول الله تبارك وتعالى إياك عصيتم فكيف رسلي لو أتتكم (ويروى موقوفا عن أبي سعيد قوله وفية نظر وقد بيناه في كتاب" التذكرة" وبه احتج من قال: إن الأطفال وغيرهم يمتحنون في الآخرة)).

---

(1) تفسير القرطبي، 265/11

(2) سورة طه، الآية، 135/20،134

وفي نظم الدرر في تناسق الآيات والسور في تفسيره لقوله تعالى: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7) أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ)[1].

قال[2]: «إن أول من سيب السوايب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وأني رأيته يجر أمعاءه في النار» وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أول من غير دين إبراهيم عليه السلام عمرو بن لحي بن قميئة» وروى البخاري في فتح مكة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرج من البيت صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام فقال: «قاتلهم الله! لقد علموا ما استقسما بها قط» فبطل ما يقال من أن أهل الفترة جهلوا جهلاً أسقط عنهم اللوم، ويؤيده ما في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: «في النار، فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار» أخرجه مسلم في آخر كتاب الإيمان.

ويرى الباحث قول الزحيلي في أهل الفترة ومن على شاكلتهم بأنهم ناجون قد جانب فيه الصواب وهو خلاف لما جاء في الأحاديث الصحيحة والتي ورد فيها ذكر عمر ابن لحي وقد اخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب»[3].

وأخرج الحاكم في مستدركه، عن ثوبان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم، فيقولون: ربنا لم ترسل إلينا رسولا، ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا

---

(1) سورة ص،الآية،7،8/28

(2) نظم الدرر في تناسق الآيات والسور،332/16

(3) باب {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة، ولا وصيلة ولا حام} [المائدة: 103]،4623/54/6

أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أريتكم إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيقولون: نعم، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظا وزفيرا، فرجعوا إلى ربهم، فيقولون: ربنا أجرنا منها، فيقول لهم: ألم تزعموا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول: اعمدوا إليها فادخلوها، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا فقالوا: ربنا فرقنا منها، ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها داخرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما»[1].

ثانيا: دور الحديث في سير الانبياء

بعث الله لكل أُمة نبياً فكان منهم من ذُكر في القرآن الكريم، ومنهم من لم يُذكر، ذكر الله – تعالى– في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً ورسولاً، ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قول الله تعالى: (وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إِبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ * وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ كُلًّا هَدَينا وَنوحًا هَدَينا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داوودَ وَسُلَيمانَ وَأَيّوبَ وَيوسُفَ وَموسى وَهارونَ وَكَذلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ * وَزَكَرِيّا وَيَحيى وَعيسى وَإِلياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحينَ * وَإِسماعيلَ وَاليَسَعَ وَيونُسَ وَلوطًا وَكُلًّا فَضَّلنا عَلَى العالَمينَ)[2]، وذُكر آدم، وهود، وصالح، وشُعيب، وإدريس، وذو الكفل، والنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– في مواضع مختلفة من القرآن الكريم.

ومن الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم يوسف –عليه السلام– حيث ذكر في ثلاث سور وهي: سورة الأنعام وسورة يوسف وسورة غافر، أما المواضع التي ذكر فيها يوسف –عليه السلام– فهي كثيرة في هذه السور الموضع الأول وهو سورة الأنعام فلم يكن فيه تعرض لقصته عليه السلام وإنما كان ذكر فقط مع جملة

(1) الحاكم مستدرك الحاكم،40/8 ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة
(2) سورة الانعام الآية، 83/6.

الأنبياء وأما الموضع الثاني فهو سورة يوسف عليه السلام والذي قص الله عز وجل فيه على نبيه عليه صلى الله عليه وسلم قصت نبي الله يوسف كاملة وسوف نتتبع هذه القصة من خلال تفسير الزحيلي وكيف وظف الحديث النبوي في خدمة هذه القصة.

وظف الزحيلي عدد من الأحاديث في تفسيره لقصة يوسف عليه السلام وسأقوم في هذ المبحث بتتبع الزحيلي في الأماكن التي استشهد بالحديث النبوي في تفسيرها مبينا حاله من الصحة والضعف.

ومن توصيف الزحيلي[1] للحديث في بيان سبب نزول سورة يوسف ما جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه– فيما رواه عنه الحاكم وغيره–: قال أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: لو قصصت علينا فنزل: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ)[2] فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: لو حدثتنا فنزل: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ)[3].

ومنه في نسبته عليه السلام قال: ((قال النبي صلى الله عليه وسلّم عن يوسف فيما أخرجه أحمد والبخاري عن ابن عمر: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[4])).

استشهد علي حسن يوسف عليه السلام بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحة أنه صلى الله عليه وسلّم قال: «فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحسن»[5].

وظف الزحيلي الحديث في تفسير الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام حيث قال[1]: ((ذكر ابن جرير الطبري عن جابر قال: أتى النبي صلى الله عليه

---

(1)التفسير المنير،191/21

(2) سورة يوسف ، الآية،12/ 3

(3) سورة الزمر، الآية، 23/39

(4) البخاري، صحيح البخاري، باب قول الله تعالى لقد كان في يوسف،3390/151/4.

(5) صحيح مسلم، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، 162/145/1.

وسلّم رجل من يهود، يقال لله: بستانه اليهودي، فقال له: يا محمد، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له، ما أسماؤها؟ قال فسكت النبي صلى الله عليه وسلّم ساعة، فلم يجبه بشيء، ونزل عليه جبريل عليها السّلام، فأخبره بأسمائها، قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم إليه، فقال «هل أنت مؤمن إذا أخبرتك بأسمائها؟» فقال: نعم، قال: «جريان، والطارق والذيال، وذو الكنفات، وقابس، ووثاب، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضر وجود والفرغ، والضياء والنور» فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها[2])).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[3] قال[4]: ((قال يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا المتضمنة خضوع إخوته له، وتعظيمهم إياه إجلالا واحتراما وإكراما لا تخبر إخوتك بما رأيت حتى لا يحسدوك، ويحتالوا لك حيلة توقعك في مكروه، فإن الشيطان عدو لآدم وبنيه، ومن دأبه إيقاع الفتنة بين الناس، كما قال يوسف نفسه: (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)[5])).

واستدل على استحباب كتمان الرؤيا فقال: وثبت في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم انه قال: ((«إذا رأى أحدكم ما يحب، فليحدّث به، وإذا رأى ما يكره، فليتحول إلى جنبه الآخر، وليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من شرها، ولا يحدث بها أحدا، فإنها لن تضره»[6])).

---

(1)التفسير المنير،207/12

(2) ابن حبان، المجروحين،305/1،لاأصل له.

(3) سورة يوسف،الآية،5/12

(4) التفسير المنير،207/12

(5) سورة يوسف، الآية، 100/12

(6) صحيح البخاري، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها، 7044/43/9

يكثر الزحيلي من الإستدلال بالأحاديث دون التقيد بلفظ الحديث كما فعل في هذا الموضع فقال: ((أخرج الترمذي «الرؤيا معلّقة برجل طائر، ما لم يحدّث بها صاحبها، فإذا حدّث بها وقعت، فلا تحدّثوا بها إلا عاقلا أو محبّا أو ناصحا»[1])).

وأيضا نجد أن الزحيلي لا يلتزم عند نقل الحديث بنصه حرفيا وهذا الموضع مثال على ذلك قال الزحيلي[2]:((ورؤيا الصالحين جزء من النبوة، والرؤيا حالة شريفة ومنزلة رفيعة، قال صلى الله عليه وسلّم فيما رواه البخاري أن أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»[3])).

وقال[4]: في تفسيره لقوله تعالى: (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[5] قال: صلى الله عليه وسلّم فيما يرويه البخاري عن النعمان بن بشير: «اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم»[6].

وفي تفسيره لقوله تعالى: (قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)[7] بعد أن ساق عدة أقوال قال[8]:((والقول الثاني– وهو قول ابن عباس وجماعة: أن ذلك الشاهد كان صبيا أنطقه الله تعالى في المهد.

---

(1) ابن حبان ، ذكر الزجر عن أن يقص المرء رؤياه إلا على العالم أو الناصح له،6055/420/13.

(2) التفسير المنير، 208/12

(3) صحيح البخاري، كتاب التعبير ، باب المبشرات، 6990/31/9.

(4) التفسير المنير، 214/12

(5) سورة يوسف، الآية، 8/12.

(6) صحيح البخاري، كتاب الغسل ، باب الإشهاد في الهبة، 257/158/3

(7) سورة يوسف، الآية، 26/12.

(8) التفسير المنير، 246/12.

واستدل صاحبنا[1] بما روى ابن جرير حديثا مرفوعا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم»[2])).

تناول الزحيلي تعبير الأحلام فقال[3]: تعبير الأحلام يحتاج لعلم وصلاح وتقوى وإحسان، وإن الرؤيا قد تكون حقا واستشهد بقوله صلى الله عليه وسلّم فيما رواه أحمد والشيخان عن أنس: (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).

وقال[4]:((في تفسيره لقوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ)[5] أي أخرجوه من السجن، وأحضروه لي، كي أستمع إلى كلامه، وأتلمس مصداق الرؤيا بنفسي، فلما جاءه الرسول بذلك، امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته، ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن كان ظلما وعدوانا)).

واستدل على صبر يوسف بما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: « ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف، لأجبت الداعي»[6])).

وظف الزحيلي[7]: الحديث في تفسيره لقوله تعالى: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ

---

(1) التفسير المنير، 246/12

(2) صحيح ابن حبان، ذكر خبر ثان يصرح بصحة ما ذكرناه، 2904/164/7

(3) التفسير المنير ،266/12

(4) التفسير المنير ،280/12

(5) سورة يوسف، الآية، 50/12

(6) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله عز وجل ونبئهم عن ضيف إبراهيم، 3372/1625/4، 3372/1625/4، مسلم، كتاب الإيمان ، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، 151/133/1.

(7) التفسير المنير، 6/13

إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)[1] قال الزحيلي[2]:((في الآية دليل في رأي جمهور المفسرين على التحرز من العين، والعين في الظاهر حق، ومرد النتيجة في الحقيقة إلى الله وحده، وتكون العين مجرد سبب، واستشهد بقوله صلّى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد بسند صحيح «العين حق»[3] وبما ذكره النسفي: «إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر»[4] ثم ذكر الزحيلي في تفسيره للآية عدة مسائل:

منها أنه كان صلّى الله عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذ كما بكلمات الله التّامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامة»[5] ويقول: وهكذا كان كان يعوّذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق صلوات الله عليهم)).

واستشهد بما روى عبادة بن الصامت قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلم في أول النهار، فرأيته شديد الوجع، ثم عدت إليه آخر النهار، فرأيته معافى، فقال: ((إن جبريل عليه السّلام أتاني فقال فيما أخرجه أحمد عن عائشة وعبادة «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن كل عين وحاسد، الله يشفيك»[6].

ومنها أنه ذكر مسالة مهمة وهي كيف نتقي ضرر العين فقال: على كل مسلم أعجبه شيء أن يبرّك، فإنه إذا دعا بالبركة، صرف المحذور لا محالة، واستشهد بقوله صلّى الله عليه وسلّم لعامر: «ألا برّكت»[7] فدل على أن العين لا تضر إذا برّك العائن، والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه.

---

(1) سورة يوسف، الآية، 67/12

(2) التفسير المنير، 26/13

(3) مسند احمد، باب مسند عبدالله ابن العباس،2477/281/4 (ولفظه الْعَيْنُ حَقٌّ، تَسْتَنْزِلُ الْحَالِقَ) حسن لغيره، وهذا إسناد إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن جابر بن زيد. وانظر ما بعده. سفيان: هو الثوري

(4)ابن القيسراني، ذخيرة الحفاظ (من الكامل لابن عدي)،907/564/1، له طرق منها فيه اللهبي متروك الحديث

(5) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى ونضع الموازين القسط،3371/147/1

(6) صحيح مسلم، كتاب السلام ، باب الطب والمرض والرقى ،2186/171/4.

(7) االبن حبان ، صحيح ابن حبان، ذكر الأمر لمن رأى بأخيه شيئا حسنا أن يبرك له فيه فإن عانه توضأ له6905/469/13، ولفظ الحديث عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بـ(الخرار) فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر، وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد، قال: فقال له عامر

ومنها أن العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرّك، يؤمر بالاغتسال، ويجبر على ذلك إن أباه، لأن الأمر على الوجوب، وقد أمر صلّى الله عليه وسلّم في حديث أبي أمامة العائن بالإغتسال للمعين، وأمر بالرقية.

ومنها أنه من عرف بالإصابة بالعين، منع من مداخلة الناس، دفعا لضرره وهذا يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار[1].

ومنها أنه يستفاد من قوله تعالى: (وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)[2]على أن الحذر لا ينفع مع القدر، فدخول أولاد يعقوب مصر من أبواب متفرقة ما كان ذلك التفرق يغني من الله من شيء قال ابن عباس: ذلك التفرق ما كان يرد قضاء الله ولا أمرا قدره الله)).

مما وظف الزحيلي فيه الحديث لبيان معناه تفسيره لقوله تعالى:(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)[3] فقال[4]:((والجزع البالغ والحزن الشديد أمر إنساني عند الشدائد والمصائب، وهو غير مذموم شرعا إذا اقترن بالصبر، وضبط النفس، حتى لا يخرج إلى مالا يحسن، ولقد بكى رسول صلّى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم، وقال فيما رواه الشيخان: «إن العين لتدمع، وإن

بن ربيعة: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء! قال: فوعك سهل مكانه، واشتد وعكه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك، وأنه غير رائح معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر سهل بالذي كان من أمر عامر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "علام يقتل أحدكم أخاه! ألا بركت؟ إن العين حق، توضأ له"، فتوضأ له عامر، فراح سهل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس به بأس،.

(1) عن أبي سعيدٍ سعد بن سنانٍ الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضرار)؛ حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا، فأسقط أبا سعيد، وله طرقٌ يقوي بعضها بعضًا.

(2)

(3) سورة يوسف، الآية، 54/12.

(4) التفسير المنير، 45/13

القلب ليخشع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1]، وإنما الجزع المذموم: ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور)).

تناول الزحيلي[2] الشهادة وممن تقبل وعمن ترد وفضل الشهادة ممن لديه شهادة ولولم يطلب لشهادة واستشهد بأحاديث في ذلك فقال[3]:((تضمنت الآية (ارْجِعُوا إِلى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَما شَهِدْنا إِلاَّ بِما عَلِمْنا وَما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ (81)[4] جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها، فتصح شهادة المستمع والمعاين والأعمى والأخرس إذا فهمت إشارته، وكذلك تصح الشهادة على الخط إذا تيقن الشاهد أن الخط خط الكاتب أو خط فلان، فكل من حصل له العلم بشيء، جاز أن يشهد به، وإن لم يشهده المشهود عليه، قال الله تعالى: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[5]، وقال صلّى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم: «ألا أخبركم بخير الشهداء: خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها»[6]، وقد شهد أولاد يعقوب بما رأوه حين إخراج الصواع من رحل أخيهم، فغلب على ظنهم أنه هو الذي أخذ الصواع، وأما شهادة المرور بأن يقول: مررت بفلان فسمعته يقول كذا، فالصحيح أنه إذا استوعب القول، جاز أداء الشهادة عليه، وإذا ادعى رجل شهادة لا يحتملها عمره، ردّت، لأنه ادّعى باطلا، فأكذبه العيان ظاهرا، والخلاصة: أن الشهادة تكون بالإعتماد على الحواس الظاهرة، أما حقيقة الغيب فلا يعلمها إلا الله تعالى)).

من شأن وحال المسلم الإبتعاد عن مواطن التُهم والشُبهات، والتحرز من كل ما يوقعه في تهمة أو شبهة، وذلك لأن مواطن الرِيبة والتهم قد تجر الناس إلى إساءة الظن به، وإطلاق ألسنتهم فيه، وقد قال صلى الله عليه وسلم« فمَنِ اتّقى الشُبُهات

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك،2315/1807/4.

(2)

(3) التفسير المنير، 49/13.

(4) سورة يوسف، الآية، 81/12

(5) سورة الزخرف، الآية: 86.

(6)صحيح مسلم، كتاب الأقضية ، باب بيان خير الشهود، 1719/1344/3

فقد استبرأ لدينه وعِرْضِه رواه مسلم»[1]، وقد تناول الزحيلي بعض الأحوال التي يكون فيها المرؤ ملزما بتبرئت نفسه مما قد ينسب إليه بسوء الظن ممن لا يعرفه أو ممن رآه في موقف يشتبه به واستشهد بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)[2]

فقال[3]:((استعان أولاد يعقوب لإقناع أبيهم بصدق قولهم بسؤال أناس من أهل مصر، وسؤال قوافل الطعام التي كانت معهم من قوم من الكنعانيين، وهذا يدل على أن كل من كان على حق، وعلم أنه قد يظن به أنه على خلاف ما هو عليه أو يتوهم: أن يرفع التهمة وكل ريبة عن نفسه، ويصرح بالحق الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحد كلام، وقد فعل هذا نبينا صلّى الله عليه وسلم–فيما رواه البخاري ومسلم– بقوله للرجلين اللذين مرّا، وهو مع صفية يردّها من المسجد: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله! وكبر عليهما، فقال: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»[4].

ثم إنهم بالغوا في التأكيد والتقرير فقالوا: وَإِنَّا لَصادِقُونَ يعني سواء نسبتنا إلى التهمة، أو لم تنسبنا إليها، فنحن صادقون)).

تناول الزحيلي ما يطراء على الإنسان من الحزن وما يكون محضورا منه وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)[5] فقال[1]:((إن الحزن ليس بمحظور إذا اقترن بالصبر

---

(1)صحيح مسلم ، كتاب المساقاة، باب بيان خير الشهود، 1599/1219/3 ولفظ الحديث (عن النعمان بن بشير، قال: سمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:– وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه – «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»).

(2) سورة يوسف، الآية، 82/12.

(3) التفسير المنير، 49/13

(4) صحيح البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب ما جاء في بيوت أبواب النبي، 3101/82/4.

(5) سورة يوسف، الآية، 84/12.

بالصبر والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، فذلك من طبع الإنسان وعاطفته، وإنما المحظور هو السخط على القضاء والقدر، والولولة، وشق الثياب، والكلام بما لا ينبغي، قال النبي صلّى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب»[2]، وبناء عليه لما سمع يعقوب عليه السلام كلام أبنائه، ضاق قلبه جدا، وأعرض عنهم، وفارقهم، ثم طلبهم أخيرا وعاد إليهم)).

العفوَ: هو أن تترُكَ معاقبةَ كلِّ من يستحق العقوبة وأنت قادر على عقوبته تناوله الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[3] فقال[4]:((كانت عبارة يوسف: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ مثلا رائعا في السماحة والعفو والصفح، فهو عفو لا لوم فيه ولا تعيير، وهو صفح في حال المقدرة على العقاب، وهو تنازل عن أي حق دون أي حقد أو كراهية، وأضيف إليه الدعاء بالمغفرة على الذنب والستر، واحتذى نبينا عليه الصلاة والسّلام حذو أخيه يوسف عليه السّلام في هذا القول العظيم يوم فتح مكة بإعلان العفو عن قريش، روى ابن مردويه عن ابن عباس، والبيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي الباب يوم فتح مكة، وقد لاذ الناس بالبيت فقال: «الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: ماذا تظنون يا معشر قريش؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت، قال: وأنا أقول كما قال أخي يوسف: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ فخرجوا كأنما نشروا من القبور»[5])).

---

(1) التفسير المنير، 51/13.

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك،2315/1807/4.

(3) سورة يوسف، الآية، 92/12.

(4) التفسير المنير، 61/13،60

(5) صحيح ابن حبان، ذكر وصف الدية في قتل الخطأ الذي يشبه العمد ،6011/364/13،ولفظ الحديث عن القاسم بن ربيعة، عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة، قال: "لا إله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة تحت قدمي هاتين إلا

وظف الزحيلي الحديث لبيان حقيقة الثوب الذي أرسله يوسف لأبيه في تفسيره لقوله تعالى: (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1] فقال[2]:((حدثت الفرحة الصغرى بعودة البصر إلى يعقوب حينما ألقي عليه قميص يوسف. وهو – في القول الأصح المروي مرفوعا عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وسلم، فيما ذكر القشيري– قميص إبراهيم الذي ألبسه الله أثناء إلقائه في النار من حرير الجنة، وكان كساه إسحاق، وكان إسحاق كساه يعقوب، ويعقوب علقه في عنق يوسف، لما كان يخاف عليه من العين، وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك فإن فيه ريح الجنة، وإن ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي. وهذا بإعلام الله يوسف به. وقيل: إنه قميص يوسف الذي خلعه من على بدنه، فإنه إذا ألقي على أبيه انشرح صدره، وحصل في قلبه الفرح الشديد.

الظلم محرم في شريعة الله تعالى، وذلك لما له من عواقب وخيمة، حرمه سبحانه على نفسه وعلى عباده، وتوعد عز وجل الظالمين بعذاب أليم في الدارين، وظف الزحيلي الحديث لبيان هذا وكيف يكون التحلل منه وإستفاء حق المظلوم وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)[3] فقال[4]: نصر الله نبيّه يعقوب عليه السّلام على أولاده وكلّ من حوله، فلم يجد أولاد يعقوب عليه السّلام بدّا من الاعتذار من أبيهم، وطلب الدّعاء منه أن يغفر الله لهم، لأنهم أدخلوا عليه من ألم الحزن ما لم يرتفع الإثم عنه أو يسقط المأثم عنه إلا بإحلاله وتسامحه وعفوه عنهم، كما عفا عنهم أخوهم يوسف، وهذا الحكم ثابت فيمن آذى

السدانة والسقاية، ألا إن قتيل الخطإ شبه العمد قتيل السوط والعصا [دية] مغلظة، منها أربعون في بطونها أولادها"

(1) سورة يوسف، الآية، 96/12.

(2) التفسير المنير، 61/13

(3) سورة يوسف، الآية، 29/12.

(4) التفسير المنير، 66/13.

مسلما في نفسه أو ماله أو غير ذلك ظالما له، فإنه يجب عليه أن يتحلّل منه ويطلب صفحة عنه ومسامحته عليه، ويخبره بالمظلمة وقدرها، والصّحيح أنه لا ينفعه التّحليل المطلق دون بيان السّبب، فإنه لو أخبره بمظلمة لها قدر وبال، ربّما لم تطب نفس المظلوم في التّحلل منها، روى البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليحلله منه اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيّئات صاحبه، فحمل عليه»[1].

التحية أعم من السلام، فالسلام نوع من أنواع التحية وظف الزحيلي الحديث في بيان التحية في الإسلام وما يجوز منها ومالا يجوز وحكم القيام للتحية في تفسيره لقوله تعالى: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[2] فقال[3]:أجمع المفسّرون على أنّ سجود أسرة يوسف عليه السّلام له كان سجود تحيّة وانحناء على عادتهم المألوفة في التّحية، لا سجود عبادة ولا على الأرض. وقد نسخ الله تعالى ذلك كله في شرعنا، وبالرّغم من نسخ الانحناء في التّحية، فإن بعض المسلمين مع الأسف، لا يتنبهون لذلك، وينحنون في التّحية والسّلام، كما يفعل الغربيون الآن.

روى ابن عبد البرّ في التّمهيد عن أنس بن مالك قال: قلنا: يا رسول الله، أينحني بعضنا إلى بعض إذا التقينا؟ قال: «لا»، قلنا: أفيعتنق بعضنا بعضا؟ قال: «لا»، قلنا: أفيصافح بعضنا بعضا؟ قال: «نعم»[4]، وأمّا القيام للقادم، كما أمر النّبي

---

(1)صحيح الخاري، كتاب المظالم والغصب ، باب من كانت له مضلمة عند الرجل فحللها له، 2449/129/3.

(2) سورة يوسف، الآية، 100/12.

(3) التفسير المنير، 72/13.

(4) القسريني، تذكرة الحفاظ،3865/1714/3، [فيه] حنظلة السدوسي متروك الحديث منكره.

صلّى الله عليه وسلّم جماعة الأوس بقوله في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود عن أبي سعيد: «قوموا إلى سيّدكم وخيركم» يعني سعد بن معاذ، فهو جائز إذا لم يؤثّر ذلك في نفسه، فإن أثّر فيه، وأعجب به، ورأى لنفسه حظّا، لم يجز إعانته على ذلك، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من سرّه أن يتمثّل له النّاس قياما، فليتبوأ مقعده من النّار»[1].

قال: وتجوز الإشارة بالإصبع للبعيد عنك، دون الدّاني القريب، وإذا سلّم لا ينحني، ولا أن يقبّل مع السّلام بيده، ولأن الانحناء على معنى التّواضع لا ينبغي إلا لله، وأما تقبيل اليد فإنه من فعل الأعاجم)).

الشرك هو تشريك غير الله مع الله في العبادة، كأن يدعو الأصنام أو غيرها، أو يستغيث بها أو ينذر لها أو يصلي لها أو يصوم لها أو يذبح لها، ومثل أن يذبح للقبر بحجة أنه لولي صالح أو يطلب المدد من الرسول أو من عبدالقادر أو من عبدالسلام الاسمر أو غيره من الأموات والغائبين، فهذا كله يسمى شركا، وقد وظف الزحيلي الحديث في بيان الشرك وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)[2] فقال[3]:((وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ.. أي وما يكاد يقرّ أكثر المشركين بوجود الله، كما قال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[4] إلا وتراهم يقعون في الشّرك، لإشراكهم مع الله الأصنام والأوثان في العبادة، فكلّ عبادة أو تقديس وتعظيم لغير الله شرك، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يقول الله: أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»[5].

---

(1) سنن ابي داود، باب قيام الرجل للرجال،358/4/ ، سنن الترمذي،27555229/90/5.

(2) سورة يوسف، الآية، 106/12

(3) التفسير المنير، 81/13

(4) سورة لقمان، الآية، 25/31

(5) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من اشرك في عمله غير الله،2985/2289/4 .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد بن أبي فضالة قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ليوم لا ريب فيه، ينادي مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشّركاء عن الشّرك»[1])).

ثالثاً: إعمال للحديث في المعنى العام للآيات

يحرص الزحيلي في تفسيره علي ان يكون التفسير مستندا على دليل من السنة فهو في كثير من الآيات وبعد نقله الآراء المختلفة في تفسير الآية أو ذكره لحكم معين فإنه يذكره ويعقب بعده بقوله لقوله صلى الله عليه وسلم، ومثال ذلك في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[2]

قال الزحيلي[3]: ((هذه الآية دليل قاطع على فائدة الدعاء، ومعناها كما بينا: إذا سألوك عن المعبود، فأخبرهم أنه قريب، يثيب على الطاعة، ويجيب الداعي، ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك. والمراد بقوله: فَإِنِّي قَرِيبٌ أي بالإجابة، وقيل: بالعلم.

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ أي أقبل عبادة من عبدني، ومنها الدعاء، والدعاء بمعنى العبادة، والإجابة بمعنى القبول. بدليل الأحاديث السابقة، لكن إجابة الدعاء مقيدة بقيود بالنسبة للعبد، منها:-

عدم الإعتداء بتجاوز حدود الله، فكل مصرّ على كبيرة عالما بها أو جاهلا، فهو معتد، وقد أخبر تعالى أنه لا يحب المعتدين، فقال: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً، إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[4].

---

(1) سنن الترمذي ، 3154/214/5.

(2) البقرة، الآية، 186/2.

(3) التفسير المنير، 154/2

(4) سورة الأعراف، الآية، 55/7

وقال صلّى الله عليه وسلّم في رواية مسلم عن أبي هريرة: «لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء»[1].

ومنها أكل الحرام وما في معناه، لقوله صلّى الله عليه وسلّم في الصحيح: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء، يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟»[2]

وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء من هذه صفته.

وإجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشيء المدعو به.

فمن شرط الداعي: أن يكون عالما بأن لا قادر إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخّرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه.

وأن يكون مجتنبا لأكل الحرام، وألا يملّ من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه: أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا، كما جاء في الحديث السابق: «ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».

ويدخل في الإثم جميع الذنوب، ويدخل في الرحم: جميع حقوق المسلمين ومظالمهم، وقال سهل بن عبد الله التّستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال.

ومن شرائط الدعاء كما ذكر ابن عطاء: أربع:

أولها- حفظ القلب عند الوحدة.

---

(1) صحيح مسلم ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب يستجاب أنه يستجاب للداعي مالم يعجل، 2735/2096/4.

(2) صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، 1010/7030/2.

ثانيها– وحفظ اللسان مع الخلق.

ثالثها– وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحلّ.

رابعها– وحفظ البطن من الحرام.

ومواقيت الدعاء: وقت الأسحار، والفطر، وما بين الأذان والإقامة، وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر والمرض، وعند نزول المطر، والصّف في سبيل الله. كل هذا جاءت به الآثار.

فإذا تحققت شروط الدعاء وقيوده استجيب، قال ابن عباس: «كل عبد دعا استجيب له، فإن كان الذي يدعو به رزقا له في الدنيا أعطيه، وإن لم يكن رزقا له في الدنيا، ذخر له»[1])).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

قال : ((دلّت الآية على عظيم فائدة الاعتراف بالذّنب والاستغفار منه، كما جاء في الحديث الذي اخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبو لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون، فيغفر لهم»[3] وهذه فائدة اسم الله تعالى: الغفار والتّواب)).

ثم تحدث الزحيلي على ما يمنع من إستجابة الدعاء وهي الذنوب فقال[4]:–

((أنواع الذّنوب: الذّنوب التي يتاب منها: إما كفر أو غيره، فتوبة الكافر: إيمانه مع ندمه على ما سلف من كفره، وليس مجرّد الإيمان نفسه توبة. وغير الكفر إما حقّ الله تعالى، وإما حقّ لغيره.

---

(1) التفسير المنير، 155/2.

(2) سورة آل عمران، الآية، 135/3.

(3) صحيح مسلم، كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالإستغفار توبة، 2749/2106/4

(4) اتفسير المنير، 94/4

فحقّ الله تعالى يكفي في التّوبة منه التّرك، لكن مع القضاء كالصّلاة والصّوم، أو مع الكفارة كالحنث في الأيمان والظهار وغير ذلك.

وأما حقوق الآدميين: فلا بدّ من إيصالها إلى مستحقيها، فإن لم يوجدوا تصدّق عنهم. فإن كان معسرا فعفو الله مأمول وفضله مبذول)).

وقع الزحيلي في نقل من تفسير القرطبي وبتر النص وكان مخلا بالمعنى حيث قال[1]: (وليس على الإنسان إذا لم يذكر ذنبه ويعلمه: أن يتوب منه بعينه، ولكن يلزمه إذا ذكر ذنبا تاب منه)[2].

وقال الزحيلي[3]: ((دلّ قوله تعالى: (وَلَمْ يُصِرُّوا.....) على أنّ الإنسان يؤاخذ بما وطّن عليه بضميره، وعزم عليه بقلبه من المعصية. وهذا يدلّ على أنّ الهم بالمعصية يؤاخذ عليه إن وطّن نفسه عليها. وأما معنى قوله عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الصحيح: «من همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت سيئة واحدة»[4] أي لم يعزم على عملها، فإن أظهرها أو عزم عليها عوقب عليها.

---

(1) التفسير المنير،94/4

(2) تفسير القرطبي، السادسة: ليس على الإنسان إذا لم يذكر ذنبه ويعلمه أن يتوب منه بعينه، ولكن يلزمه إذا ذكر ذنبا تاب منه. وقد تأول كثير من الناس فيما ذكر شيخنا أبو محمد عبد المعطي الإسكندراني رضي الله عنه أن الإمام المحاسبي رحمه الله يرى أن التوبة من أجناس المعاصي لا تصح، وأن الندم على جملتها لا يكفي، بل لأبد أن يتوب من كل فعل بجارحته وكل عقد بقلبه على التعيين. ظنوا ذلك من قوله، وليس هذا مراده، ولا يقتضيه كلامه، بل حكم المكلف إذا عرف حكم أفعاله، وعرف المعصية من غيرها، صحت منه التوبة من جملة ما عرف، فإنه إن لم يعرف= =كون فعله الماضي معصية لا يمكنه أن يتوب منه لا على الجملة ولا على التفصيل، ومثاله رجل كان يتعاطى بابا من أبواب الربا ولا يعرف أنه ربا فإذا سمع كلام الله عز وجل:" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله" [البقرة: 279] عظم عليه هذا التهديد، وظن أنه سالم من الربا، فإذا علم حقيقة الربا الآن، ثم تفكر فيما مضى من أيامه وعلم أنه لابس منه شيئا كثيرا في أوقات متقدمة، صح أن يندم عليه الآن جملة، ولا يلزمه تعيين أوقاته، وهكذا كل ما واقع من الذنوب والسيئات كالغيبة والنميمة وغير ذلك من المحرمات التي لم يعرف كونها محرمة، فإذا فقه العبد وتفقد ما مضى من كلامه تاب من ذلك جملة، وندم على ما فرط فيه من حق الله تعالى، وإذا استحل من كان ظلمه فحالله على الجملة وطابت نفسه بترك حقه جاز، 214/4

(3) التفسير المنير،95/4.

(4) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت له،130/118/1.

وفي التّنزيل: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ عوقبوا قبل فعلهم بعزمهم[1])).

(1) نقله من القرطبي حرفيا ولم يشر اليه ، تفسير القرطبي، 215/4.

الفصل الرابع

اعمال الحديث في تفسير آيات العقيدة

أولا: ما يتعلق بالأسماء والصفات

1-صفة الاستواء:- يقول ابن بطه رحمه الله: "وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه، فوق سماواته، بائنٌ من خلقه، وعلمُه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلوليَّة[1]، وهم قومٌ زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين"[2].

والعرش لغة: السرير، يقول أبو جعفر الطبري عند تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ)[3]"يعني بالعرش: السرير[4]".

ويقول البيهقي: "وأقاويل أهل التفسير على أن العرشَ هو السرير، وأنه جسمٌ مجسَّم، خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحملِه، وتعبَّدهم بتعظيمه والطَّواف به، كما خلق في الأرض بيتًا وأمر بني آدم بالطواف به، واستقباله في الصلاة، وفي أكثر هذه الآيات دلالة على صحَّة ما ذهبوا إليه، وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك[5].

وجاء في الآيات أنَّ عرشه كان على الماء قبل أن يخلقَ السموات والأرض؛ قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)[6] وأن له حملةً من الملائكة؛ فقال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

---

(1) مذهب صوفي يقول: (أن الخالق حال في كل الموجودات ، كما أن الخالق لا يستطيع أن يتصرف أو يعمل إلا بحلوله في الأشياء)، أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، 139/3

(2) ابن بطة، الإبانة الكبرى، 136/7

(3) سورة الزمر، الآية، 75/39

(4) تفسير الطبري، 343/21

(5) البيهقي، الأسماء والصفات، 272/2

(6) سورة هود، الآية، 7/11

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)[1]، وقال سبحانه: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)[2] وله قوائم؛ فقال صلى الله عليه وسلم : «لا تخيّروا بين الأنبياءِ، فإنَّ الناسَ يُصعَقون يومَ القيامة، فأكون أوَّلَ من تنشقُّ عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى» [3].

وهو سقفُ الجنة، وأعلى المخلوقات؛ فقال صلى الله عليه وسلم: فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ، فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنة– أراه –فوقه عرش الرحمن[4] فأهل السنة يؤمنون بذلك كلِّه، دون تحديدٍ لكيفيته؛ إذ هو من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

إستواء الله تعالى على العرش:

وأخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه استواء على العرش، وورد ذكر ذلك في كتابه العزيز قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[5]، وقال عز وجل: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[6]، وقال سبحانه: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[7]، وقال تقدست أسماؤه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[8]، وقال تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ)[9]، وقال سبحانه: (اللَّهُ الَّذِي

---

(1) سورة غافر، الآية، 7/40

(2) سورة الحاقة، الآية، 17/69

(3) صحيح البخاري ، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم ويهود،2412/121/3

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي،2790/16/4

(5) سورة الاعراف، الآية، 54/7

(6) سورة يونس، الآية، 3/10

(7) سورة الرعد، 2/13.

(8) سورة طه، الآية، 5/20.

(9) سورة الفرقان، الآية، 59/25.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[1]، وقال سبحانه:(هوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[2]ولفظ: (اسْتَوَى) متعدِّي بحرف الجر (عَلَى)الدلُّ صراحة على العلوِّ والارتفاع، دلت هذه الآيات على أن الله سبحانه وتعالى عال على جمع خلقه بما فيهم العرش وجاء في الحديث ما يوئيد هذا المعنى ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إنَّ رحمتي غَلبت غضبي» [3].

لذا قرر هذه العقيدةَ جمعا من العلماءُ ؛ فهذا الإمام البخاري يترجم في آخر الجامع الصحيح، في كتاب الرد على الجهمية: "باب قوله تعالى: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)[4]، قال أبو العالية: (اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)[5]: ارتفع... وقال مجاهد: (اسْتَوَى): علا عَلَى الْعَرْشِ[6]وتفسير الإستواء على العرش بهذا المعنى محلُّ إجماع بين أهل العلم من السلف، يقول الإمام إسحاق ابن راهويه: "قال تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى): إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كلَّ شيء في أسفل الأرض السابعة[7].

تأويل العرش بالملك:

رأي الجهمية[8] أن معنى العرش في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) هو الملك، ورأى بعض المعتزلة أنه كناية عن الملك[9].

---

(1) سورة السجدة، الآية، 4/32.

(2) سورة الحديد، الآية، 4/57.

(3) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في قول الله تعالى: (وهو الذي يبداء الخلق ثم يعيده....)، 3149/106/4.

(4) سورة هود، /7.

(5) سورة البقرة، الآية، 29/2.

(6) صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب (وكان عرشه على الماء) 124/9.

(7) ينظر: العلو للعلي الغفار للذهبي، 179

(8) ينظر: الرد على الجهمية للدارمي، 33.

(9) ينظر: الكشاف للزمخشري، 52/3.

قول الجهمية والمعتزلة بعيدا عن الصواب وذلك لأنه لا يستقيم به المعني في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)[1]، فلا يستقيم أن يقال في معناه: يحمل ملك ربِّك، هذا في الآيات وكذلك لا يستقيم في الحديث ايضا، ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش» [2]، فلا يستقيم أن يقال: إن موسى –عليه السلام– أخَذ بقوائم الملك.

تأويل الإستواء بالإستيلاء:

ادَّعى بعض المعتزلة والجهمية والحرورية، ومتأخِّرو الأشاعرة أن معنى استوى: إستولى، وهذا التأويل لا يعرفه أهل اللغة، يقول أبو الحسن الأشعري لرد هذا التأويل: "وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى): أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كلِّ مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستوٍ على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة. ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرقَ بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كلِّ شيء، والأرض لله سبحانه، قادر عليها، وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء –وهو تعالى مستولٍ على الأشياء كلِّها– لكان مستويًا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها.[3]

يقول الزحيلي في تفسيره: ((الآية (ثُمَّ اسْتَوى علي العرش) وآية (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى)[4] من مشكلات التفسير، وللعلماء ثلاثة آراء فيها[1]:–

---

(1) سورة الحاقة، الآية،17/69

(2) صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في قول الله تعالى: (وهو الذي يبداء الخلق ثم يعيده....)،7427/126/9.

(3) أبوالحسن الاشعري، الإبانة عن اصول الديانة، 108، 109.

(4) سورة طه الآية، 5/20.

الرأي الأول لكثير من الأئمة: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها، روي عن مالك رحمه الله أن رجلا سأله عن قوله تعالى: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فقال: الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء.

الرأي الثاني للمشبهة: نقرؤها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة وهو أن الاستواء: الإرتفاع والعلو على الشيء، أو الانتصاب.

وهذا باطل، لأن ذلك من صفات الأجسام، والله تعالى منزه عن ذلك.

الرأي الثالث لبعض العلماء: نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها.

فقيل: المعنى استوى، كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق... من غير سيف ودم مهراق وقيل: استوى بمعنى ارتفع، والمراد– والله أعلم– ارتفاع أمره.

وقيل: استوى بمعنى عمد أو قصد إليها، أي بخلقه واختراعه، واختاره الطبري: على دون تكييف ولا تحديد[2])).

من خلال سرد الزحيلي للأقوال السابقة الثلاث نجد إنه لم يقدم أحد هذه الأقوال على غيرة.

وفي تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ، أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ)[3].

قال الزحيلي[4]: ((والظاهر مما تقدم أن قوم إبراهيم كانوا يتخذون الأصنام آلهة لا أربابا، ويتخذون الكواكب أربابا آلهة، والإله: هو المعبود، والرب: هو السيد

---

(1) التفسير المنير، 121/1

(2) التفسير المنير، 123/1،122.

(3) سورة الأعراف، الآية، 54/7.

(4) التفسير المنير، 131/8.

المالـك المربّـي المـدبر المتصـرف. والعبـادة: هـي التوجـه بالـدعاء والتعظـيم لخـالق الخلق. وليس للخلق إله ولا رب سوى الله)).

يعرف العبـادة بأنهـا الـدعاء وفـي الحـديث الـدعاء هو العبـادة ، نجـد الزحيلـي يفسر الإستواء بالإستلاء والملك والفرق بين الكلمتين كبير فيقول:(اسْتَوى في اللغة: استقر، أو قصـد أو استولى وملـك، والمراد أنـه يتصـرف فيـه بمـا يريـد وقـد اسـتوى استواء يليق) به.

وفـي موضـع اخر نجده يفسر الإستواء بـالإنفراد بالتدبير والإستلاء علـى زمـام السـلطة فيقـول[1]: ثـم إنـه تعـالى بعـد هـذا الخلـق اسـتوى علـى عرشـه، يـدبر أمـره، ويصـرف نظامـه، علـى نحـو يليق بـه، غيـر مشـابه لشـيء مـن المخلوقـات والحـوادث. فاسـتواؤه علـى العـرش: هـو انفـراده بتـدبير السـموات والأرض، واسـتيلاؤه علـى زمـام الأمور والسلطة فيهما، ونحن نؤمن كإيمان الصحابة باستواء الله على العرش بكيفية تليق بـه، من غير تشبيه ولا تكيف، أي من غير تحديد بجهة، ولا تقدير بكيف أو وصـف، ونترك معرفة الحقيقة إلى الله، وهذا مـا قرره الإمـام مالـك ومـن قبلـه شيخة ربيعـة، فقـال: الاستواء معلوم (أي فـي اللغـة) والكيـف (أي كيفيـة الاسـتواء) مجهـول، والسؤال عن هذا بدعة[2].

من الملاحظ أن الزحيلي يقول بتفويض حقيقة الصفة ويقول: من غير تحديد جهة.

لـم يكـن للزحيلـي موقـف صـريح واضـح يقـول الزحيلـي[3]: اسـتوى الله تعـالى علـى العـرش، وخـص العـرش بـذلك لأنـه أعظـم مخلوقاتـه، ورأي السـلف الصـالح: أنـه استوى علـى عرشـه حقيقـة، لكـن كيفيـة الاسـتواء مجهولـة، فإنـه لا تعلـم حقيقتـه. قـال مالـك رحمـه الله: الاستواء معلوم (يعنـي فـي اللغـة) والكيـف مجهـول، والسـؤال عـن هـذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها..

---

(1) التفسير المنير، 232/8

(2) التفسير المنير،132،133/8

(3) التفسير المنير،135/8

وفي موضع اخر من تفسيره نجد انه يفسر العرش بالكرسي وذلك في تفسيره لقوله تعالى:(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)

يقول[1]: ((العرش هو الكرسي وهذا خلاف لما صح في الحديث من أن العرش غير الكرسي، روى محمّد بن أبي شيبة في "كتاب العرش" عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قالَ: (مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيّ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، وَفَضْلُ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيّ كَفَضْلِ تِلْكَ الفَلاَةِ عَلَى تِلْكَ الحَلْقَةِ[2]) وكذلك الحديث الذي صحّ عن ابن عبّاس رضي الله عنه موقوفا عليه من قوله: (الكُرسِيّ موضعُ القدمين، والعرشُ لا يقدر قدره إلا الله تعالى)).

ويقول[3]: (ثم استوى على العرش استواء يليق بعظمته وجلاله، ولا يعلمه إلا هو، والعرش هو كرسيه أو مركز تدبير الخلائق، وهو أعظم المخلوقات وسقفها، ولا يعلم أحد حقيقة العرش إلا هو سبحانه وتعال)[4].طه الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى وفي موضع اخر يقول العرش كناية عن الملك –وهو قول المعتزلة– او هو مخلوق الله أعلم به فيقول: الْعَرْشِ في اللغة: سرير الملك، وهو هنا كناية عن الملك، أو هو مخلوق الله أعلم به، وهذا هو الأصح.

يفسر الإستواء بالإستلاء:

قال الزحيلي[5]: ((الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى أي ومنزل القرآن هو الرحمن المنعم بجلائل النعم ودقائقها، وهو الذي علا وارتفع على العرش، ولا يعلم البشر كيف ذلك، بل نؤمن به على طريقة السلف الصالح الذين يؤمنون بالصفات من دون

---

(1) الذهبي، ميزان الإعتدال، أخطأ شجاع في رفعه، رواه الرمادي والكجي، عن أبي عاصم، موقوفاً، وكذا رواه ابن مهدي ووكيع عن سفيان،265/2، ابن كثير، التفسير الكبير، موقوفا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، 680/1.

(2) صحيح ابن حبان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، 361/88/2.

(3) التفسير المنير، 177/16.

(4) التفسير المنير، 103/11.

(5)التفسير المنير،180/16

تحريف ولا تأويل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، فهو استواء يليق بجلال الله وعظمته، بلا كيف ولا انحصار، كقوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[1] لأن الله تعالى ليس بجسم ولا يشبه شيئا من الحوادث، والعرش: شيء مخلوق، لا ندري حقيقته.

ويرى الخلف تأويل الصفات، فيراد بالاستواء: الاستيلاء والقهر والتصرف الكامل، والعرش: هو الملك، واليد: القدرة)).

قال الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً)[2].

قال الزحيلي: ((ثم استوى على العرش أعظم المخلوقات استواء يليق بعظمته، كما يقول السلف، وهو الأصح، واستولى على العرش كما يقول الخلف.

وهو ينقل قول الزازي في تفسيره دون أن يستدرك عليه فيقول قال الرازي في تفسير قوله: ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ: الاستقرار غير جائز لأنه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث، ويقتضي التركيب والبعضية، وكل ذلك على الله محال، بل المراد: ثم خلق العرش ورفعه على السموات، وهو مستول، كقوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ)[3] فإن المراد حتى يجاهد المجاهدون ونحن بهم عالمون. وليس خلق العرش بعد خلق السموات[4])).

الزحيلي يفسر الإستواء بالملك والتدبير فيقول في تفسيره لقوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ)[5]يقول: ((اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ العرش:

---

(1) سورة الفتح الآية،4 10/8

(2) سورة الفرقان، الآية، 59/25

(3) سورة محمد،الآية،31/47

(4) التفسير المنير، 98/19

(5) سورة السجدة، الآية، 4/32

أعظم المخلوقات، وهو لغة: سرير الملك، والإستواء عليه: هو شيء يليق بالله عز وجل دون حصر ولا كيف ولا تحديد بجهة معينة[1].

ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ أي إستولى على ملكه يدبر أمره ويحكم شأنه، أو استوى استواء يليق بجلاله وعظمته على العرش الذي هو أعظم المخلوقات، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا يحده زمان ومكان، ولا تدركه الأبصار إدراك إحاطة وشمول، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير[2])).

وفي تفسيره لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[3]

يفسر العرش بالكرسي حيث ذكره في اكثر من موضع فالموضع الاول يقول: (ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الكرسي استواء يليق به)[4].

وهو في موضع اخر يجعل العرش والكرسي شيء واحد فيقول[5]: ((ثم استوى استوى على العرش أي الكرسي استواء يليق به، على نحو يريده، مما لا يعلم به إلا هو، وهذا رأي السلف، وهو الأولى احتياطا، ورأي الخلف تأويل الاستواء على العرش بتدبير الأمر وتفصيل الآيات والاستيلاء على مقاليد السلطة)).

من خلا ما تقدم من النماذج السابقة نجد أن الزحيلي لم يكن له موقف صريح واضح في تعامله مع الآيات المتعلقة بصفات الله عز وجل فهو ينقل الآراء المختلفة وقد يلحقها بترجيح في مكان ما ثم يعود وينقض ذلك الترجيح في مكان آخر.

2-صفة الساق:

---

(1) التفسير المنير، 188/12

(2) التفسير المنير، 189/21.

(3) سورة الحديد، الآية، 4/57.

(4) التفسير المنير، 290/72.

(5) التفسير المنير، 292/27.

من خلال تتبع الزحيلي في تفسيره نجد أنه يكثر من نقل الآراء عن المفسرين دون أن ينسبها إلي أصحابها او يرجح بينها، ومثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ)[1] قال[2]:((إن الله تحداهم بالإتيان بالشركاء يوم اشتداد الأمر، أي فليأتوا بشركائهم لإنقاذهم يوم يشتد الأمر ويعظم الخطب في القيامة، ويؤمرون بالسجود، فلا يتمكنون من السجود لأن ظهورهم تيبس وتصبح طبقا واحدا، فلا تلين للسجود، واستشهد بالحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا»[3])).

ثم صرح في موضع اخر فقال: والمراد بقوله: يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ شدة الأمر وعظم الخطب.

يقول الزحيلي ((...إن الله تعالى منزه عن الجسمية وعن كل صفات الحوادث، فليس المراد بالساق الجارحة، وإنما ذلك مؤول بما ذكر))، فأهل السنة يثبتون حقيقة الصفة ويفوضون الكيفية، ابن تيمية يقول[4]: والصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية هل المراد به الكشف عن الشدة أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه ولم يتنازع الصحابة والتابعون في ما يذكر من آيات الصفات إلا في هذه الآية بخلاف قوله تعالى: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)[5] وقوله تعالى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ)[6] ونحو

---

(1) سورة القلم، الآية، 42/68.

(2)التفسير المنير،69/29.

(3) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ، باب يوم يكشف عن ساق، 4919/109/6، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب الرؤيا، 183/167/1.

(4) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، باب نقل المؤلف عن الأئمة كلامهم في التأويل، 5/246.

(5) سورة ص، الآية، 75/3

(6) سورة الرحمن، الآية، 27/55

ذلك فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة لله تعالى لأنه قال (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) ولم يقل عن ساق الله ولا قال يكشف الرب عن ساقه وإنما ذكر ساقاً منكَّرة غير معرَّفة ولا مضافة وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه فيكشف الرب عن ساقه وقد يقال إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود والسجود لا يصلح إلا لله فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه وأيضاً فحَمْلُ ذلك على الشدة لا يصحّ لأن المستعمل في الشدة أن يقال كشف الله الشدة أي أزالها كما قال: (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ)[1] وقال:(فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ)[2])).

ثانيا: من علامات يوم القيامة

خروج الدابة[3] قال تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)[4].

قال الزحيلي: ((وإذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ) أي أنه في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، واستحقاقهم العذاب الموعود به، وذلك قرب مجيء الساعة، يخرج الله للناس دابة من الأرض تحدثهم أن أكثر الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون)).

ثم قال: ((ولعل تلك الدابة هي إنسان كما قال بعض المفسرين الجدد لوصفها بالكلام ولأن كل ما يدب على الأرض فهو دابة، وسميت تلك الدابة في

(1) سورة الزخرف، الآية، 50

(2) سورة الأعراف، الآية، 133/7

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، باب الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، 162/8.

(4) سورة النمل، الآية، 82/27

الآثار بالجسّاسة، وورد في شأنها أحاديث آحاد، منها ما رواه مسلم وأهل السنن عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم من غرفة، ونحن نتذاكر أمر الساعة، فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن، تسوق أو تحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا»[1])).

تعيين الدابة وموضع خروج الدابة:

قال الزحيلي: ((واختلف المفسرون في تعيين هذه الدابة وصفتها ومن أين تخرج اختلافا كثيرا، قال القرطبي: فأول الأقوال أنه فصيل ناقة صالح وهو أصحها- والله أعلم- لما ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال:" لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية- يعني مكة- ثم تكمن زمانا طويلا ثم تحرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية" يعني مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعا وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطلحون في الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن يقول يا كافر اقض حقي". وموضع الدليل من هذا الحديث

(1) صحيح مسلم، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة2901/2225/4

أنه الفصيل قول:" وهي ترغو" والرغاء إنما هو للإبل، وذلك أن الفصيل لما قتلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل[1].

سئل النبي صلّى الله عليه وسلم: من أين تخرج الدابة؟ فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى، يعني المسجد الحرام»[2])).

وقفة مع الزحيلي:

قوله (ولعل تلك الدابة هي إنسان كما قال بعض المفسرين الجدد لوصفها بالكلام): هذا خلاف لما جاء في الحديث الصحيح الذي اخرجه الامام مسلم في صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذي وابن ماجه، قال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظ رواية مسلم " «قالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: الصلاة جامعة: فخرجت إلى المسجد فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال " ليلزم كل إنسان مصلاه. ثم قال: أتدرون لما جمعتكم؟ " قالوا الله ورسوله أعلم قال " إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم وأنه حدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفئوا[3] إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة[4] قال: فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب[5] لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت؟ قالت أنا الجساسة، قالوا وما الجساسة (وهي بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى سميت بذلك لأنها

---

(1) القرطبي: 235/13.

(2) انظر تفسير ابن كثير: 375/3 .

(3) أرفئوا: بفتح الهمزة وسكون الراء فهمزة مضمومة أي لجئوا.

(4) أقرب السفينة: بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرها سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج.

(5) أهلب: كثير الشعر غليظه.

تجس الأخبار، قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال فلما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبته إلى كعبه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت قال قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم[1]) فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفينا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. قال أخبروني عن نخل[2] قلنا عن أي شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا نعم قال أما إنها يوشك أن لا تثمر. قال أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال هل فيها ماء؟ قالوا هي كثيرة الماء قال إن ماءها يوشك أن يذهب. قال أخبروني عن عين زغر)[3] قالوا عن أي شأنها تستخبر؟ قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال أقاتله العرب؟ قلنا له: نعم، قال كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة – أو واحدا – منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قال رسول الله صلى

---

(1) إغتلم: هاج واضطربت أمواجه.

(2) بيسان (وهي بفتح الباء الموحدة قرية بالشام جنوبي طبرية وأيضا ناحية باليمامة ولعلها المرادة في الحديث بدليل ذكر النخيل).

(3) زغر: بضم الزاء وفتح الغين المعجمة على وزن صرد بليدة من الجانب القبلي من الشام بينها وبين بيت المقدس ثلاثة فراسخ على طريق البحيرة وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام قال في القاموس وزغر قرية بالشام سميت بذلك لأن ابنة لوط نزلت بها قال وبها عين غور مائها علامة خروج الدجال

الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه هي طيبة هذه طيبة هذه طيبة (يعني المدينة)، ألا هل كنت حدثتكم؟ فقال الناس نعم، قال فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو "وأومى بيده إلى المشرق قالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم». أخرجه مسلم من عدة أوجه[1].

النفخ في الصور:

تناول الزحيلي النفخ في الصور وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ)[2].

فقال الزحيلي[3]: ((أي اذكر أيها الرسول للناس هول يوم نفخة الفزع في الصور، وهو كما جاء في الحديث: قرن ينفخ فيه، إذ يخاف جميع من في السموات ومن في الأرض خوفا شديدا، يؤدي بهم إلى الموت إلى من شاء ربك، بأن ثبت قلبه فلا يخاف، وهم بعض الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: هم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

وهناك نفختان: نفخة الفزع في هذه الآية وهي النفخة الأولى، ونفخة الصعق (أي الموت) المذكورة في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ)[4] والنفخة الثانية: نفخة البعث التي في تتمة الآية السابقة: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ وفي آية أخرى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)[5]. وفي حديث الصور: إن إسرافيل هو الذي

---

(1) صحيح مسلم، باب قصة الجساسة، 2942/2264/4.

(2) سورة النمل، الآية، 87/27

(3) التفسير المنير،41/20

(4) سورة الزمر، الآية، 68/93

(5) سورة يس، الآية، 51/36

ينفخ فيه بأمر الله تعالى، فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السموات ومن في الأرض.

فالنفخ إذن مرتان: مرة ليموت الكل إلا من شاء الله، ومرة ليحيي الكل للحساب، ومن استثني أولا يموت بعد النفخة الأولى وقبل الثانية.

وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ أي وكل واحد من الخلائق يأتون إلى الموقف بين يدي الله للسؤال والحساب أذلاء صاغرين، صغار ذل إن كانوا كفارا، وصغار هيبة وخشية إن كانوا مؤمنين، لا يتخلف أحد عن أمر ربه، تسيير الجبال.

وفي تفسيره لقوله تعالى:(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[1].

قال الزحيلي: ((أي وتنظر إلى الجبال فتراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تزول بسرعة عن أماكنها، وتسير كما يسير الغمام بتأثير الرياح، لأن الجسم الكبير إذا تحرك برتابة لا تكاد حركته تبين، كما قال تعالى: (يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً، وَتَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً)[2] وقال: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ، وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً)[3] وقال: (وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً)[4] وقال: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ: يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً، فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً، لا تَرى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً.

وتسير الجبال– وإن دكت عند النفخة الأولى– يحدث بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق، ليشاهدها أهل المحشر، فيبدل الله الأرض غير الأرض والسموات، كما قال تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّار)[5]. وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على دوران الأرض حول الشمس بسرعة فائقة، لكن الظاهر أن ذلك في الآخرة لأن الكلام هنا عن يوم القيامة. صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ

---

(1) سورة النمل،الآية، 88/27

(2) سورة الطور، الآية، 9/52–10

(3) سورة الكهف، الآية 47/18

(4) سورة النباء، الآية، 20/78

(5) سورة إبراهيم، الآية، 14/ 48

كُلَّ شَيْءٍ أي ذلك الصنع هو فعل الله بقدرته العظيمة، الذي أحكم كل شيء، وأودع فيه من الحكمة ما أودع.

أَنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ هذا علة النفخ في الصور والبعث للحساب والجزاء، أي إن الله تعالى عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء.

ثم بيّن الله تعالى حال المكلفين السعداء والأشقياء بعد قيام القيامة فقال:

مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ أي من جاء مؤمنا بالله وحده لا شريك له، عاملا الصالحات، فله على ذلك الثواب الجزيل عند ربه في جنات النعيم، يأمن من الفزع الأكبر، وهو الخوف من عذاب القيامة، كما قال تعالى: لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وقال سبحانه: أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ[1] وقال عز وجل: وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ.

والحسنة: الإيمان والعمل الصالح، وقال ابن عباس والنخعي وقتادة: هي لا إله إلا الله. وخَيْرٌ هنا ليس أفعل تفضيل، فليس شيء خيرا من لا إله إلا الله، كما قال عكرمة، وإنما المراد مضاعفة الثواب ودوامه لأن العمل ينقضي، والثواب يدوم، فالخير: الثواب، وقيل: للتفضيل، أي ثواب الله خير من عمل العبد وقوله. ومَنْ لابتداء الغاية أي له خير من الخيور، مبدؤه ونشوؤه منها أي من جهة هذه الحسنة. وقد رتب الله على مجيء المكلف بالحسنة شيئين: الثواب والأمن من العذاب.

وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ، هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أي ومن أشرك بالله وارتكب المعاصي، ومن لقي الله مسيئا لا حسنة له، أو قد رجحت سيئاته على حسناته، كل بحسبه، فيلقى في النار، ويقال لهم أي للكفار والعصاة: هل هذا إلا جزاء عملكم في الدنيا من شرك ومعصية؟

ويلاحظ أن هذه الآيات كلها في قمة البلاغة والفصاحة والإيجاز المفيد معاني عديدة متلاحقة، قال الزمخشري: فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن تنظيمه

(1) سورة فصلت، الآية: 41/ 40

وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغا واحدا، ولأمر ما أعجز القوي، وأخرس الشّقاشق)).

ثالثا: من أمور الغيب صفة الروح

قال تعالى: (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)[1].

قال الزحيلي: ((وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) أي ويسألك المشركون عن حقيقة الروح التي تحيى بها الأبدان، فقل: الروح من شأن ربي، يحدث بتكوينه وإيجاده، وقد استأثر بعلمه، فلا يعلمه إلا هو، ولا يستطيعه إلا هو، وما أوتيتم أيها الناس من العلوم والمعارف إلا علما قليلا، مصدره إحساس الحواس وملاحظة المرئيات، أما ما وراء ذلك فلا قدرة لكم عليه، ولا اطلاع لأحد على حقيقته)).

وقال الزحيلي[2]: ((سأل المشركون عن الروح الذي هو سبب الحياة، فأجابهم القرآن جوابا مبهما يدل على أن خلق الروح من الله، وهو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى، تاركا تفصيله، ليعرف الإنسان يقينا عجزه عن علم حقيقة نفسه، مع العلم بوجودها، وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه جاهلا حقيقتها، كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك ومعرفة مخلوق مجاور له، للدلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز، وبذلك ثبت أن أكثر الماهيات والحقائق مجهولة للإنسان، ولكن لا يلزم من كونها مجهولة نفيها)).

ويقول الزحيلي: ((وأما حقيقة الروح للعلماء فيها قولان:

القول الأول للرازي وابن القيم في كتاب الروح: إن الروح جوهر بسيط مجرد، وجسم نوراني مخالف بطبعه للجسم المحسوس، سار فيه سريان الماء في الورد، لا يحدث إلا بمحدث، وهو قوله تعالى: كُنْ فَيَكُونُ.

---

(1) سورة الاسراء، الآية، 85/17.

(2) التفسير المنير، 156/10.

والقول الثاني للغزالي وأبي القاسم الراغب الأصفهاني: الروح ليس بجسم ولا جسماني، متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف.

وقال[1]: وَيَسْئَلُونَكَ أي اليهود عَنِ الرُّوحِ أي عن ماهيتها وحقيقتها وهي ما يحيى به البدن، وهو اسم جنس على الظاهر قُلِ لهم مِنْ أَمْرِ رَبِّي أي من الإبداعات الكائنة بكن من غير مادة ولا تولد من أصل، وقيل: مما استأثره الله بعلمه، لما روي أن اليهود قالوا لقريش:

سلوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض، فهو نبي، فبين لهم القصتين، وأبهم أمر الروح، وهو مبهم في التوراة وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا بالنسبة إلى علمه تعالى، وهو ما تستفيدونه بحواسكم.

وأخرج البخاري عن ابن مسعود قال: « كنت أمشي مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمدينة، وهو متوكئ على عسيب، فمر بنفر من قريش، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدّثنا عن الروح، فقام ساعة، ورفع رأسه، فعرفت أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثم قال: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»[2].

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: علمونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فأنزل الله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا

(1) التفسير المنير، 231/29.

(2) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب سؤال يهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وقوله تعالى: (يسألونك عن الروح)،2794/2152/4

ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)[1] قال القرطبي: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها»[2])).

رابعاً: في ذكر سكرات الموت ونعيم القبر وأهواله.

سكرات الموت

تناول الزحيلي ما يطراء على المؤمن والكافر عند خروج الروح وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ).

فقال: ((فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرون أي فهلا إذا وصلت الروح أو النفس الحلق حين الاحتضار، وأنتم ترون المحتضر قد قارب فراق الحياة، تنظرون إليه وما يكابده من سكرات الموت، ونحن بالعلم والقدرة والرؤية وبملائكتنا أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرون ملائكة الموت الذين يتولون قبضه. وجواب فلولا سيأتي بعد وهو ترجعونها.

ثم أكد الله تعالى الحث والتحضيض، فقال: فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين أي فهلا إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين ولا مبعوثين،

---

(1) سورة المدثر، الآية، 31/74.

(2) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين،2842/214/4

تمنعون موته، وترجعون الروح التي قد بلغت الحلقوم إلى مقرها الذي كانت فيه، إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم لن تبعثوا وأنكم غير مربوبين ولا مملوكين للخالق؟

والمعنى المراد: أنه إذا لم يكن لكم خالق، وأنتم الخالقون، فلم لا ترجعون الأرواح إلى أجسادها حين بلوغها الحلقوم؟! وإن صدقتم ألا بعث، فردوا روح المحتضر إلى جسده، ليرتفع عنه الموت، فينتفي البعث؟ أي إن تحقق الشرطان أو الوصفان منكم: إن كنتم غير مدينين، وإن كنتم صادقين فردوا روح الميت إليه.

ونظير الآية قوله تعالى: (كلا إذا بلغت التراقي، وقيل من راق وظن أنه الفراق، والتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق).

ثم بين الله تعالى مصائر هؤلاء الناس عند احتضارهم وبعد وفاتهم، وجعلهم أقساما ثلاثة فقال: فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان، وجنة نعيم أي إن كان المحتضر أو المتوفى من فئة السابقين المقربين: وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، وبعض المباحات، وهم الصنف الأول في مطلع السورة، فلهم راحة، واستراحة وطمأنينة من أحوال الدنيا، ورزق واسع ونعيم في الجنة، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت. والروح: الاستراحة، وهو يعم الروح والبدن، والريحان: الرزق، وهو للبدن، وجنة النعيم للروح، يتنعم بلقاء المليك المقتدر. يروى: أن المؤمن لا يخرج من الدنيا إلا ويؤتى إليه بريحان من الجنة يشمه. فاللهم اجعلنا من هؤلاء يا ذا الجلال والإكرام.

وأما إن كان من أصحاب اليمين، فسلام لك من أصحاب اليمين أي وأما إن كان المحتضر أو المتوفى من أهل اليمين: وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، فتبشرهم الملائكة بذلك، وتقول لهم: سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، لا بأس عليك أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين، وذلك لأنك ستكون معهم، فيستقبلونك بالسلام.

وذلك كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)[1].

وأما إن كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم وتصلية جحيم أي وإن كان المتوفى أو المحتضر من المكذبين بالحق والبعث، الضالين عن الهدى، وهم أصحاب الشمال المتقدم ذكرهم، فله ضيافة أو نزل يعد له من حميم: وهو الماء الشديد الحرارة، بعد أن يأكل من الزقوم، كما تقدم بيانه، ثم استقرار، وزج له في النار التي تغمره من جميع جهاته.

ذكر الزحيلي[2] تثبيت الله للمؤمنين في الحياة الدنيا ولآخرة وما يعتريهم من نعيم في القبر وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)[3].

---

1 سورة فصلت ، الآية، 41/ 30– 32

(2) التفسير المنير، 245/13.

(3) سورة ابراهيم، الآية، 27/14.

ذكر الزحيلي في معنى التثبيت قولان:-

أما الأول: فهو إن الله يثبت المؤمنين في الدنيا بعدم تعرضهم للفتنة في دينهم بالرغم من التعذيب كبلال وغيره من الصحابة، فثبتهم في الدنيا حتى أنهم إذا فتنوا في دينهم، لم يزلّوا، كما ثبّت الذين فتنهم أصحاب الأخدود، والذين نشروا بالمناشير، ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد، ويثبتهم في الآخرة بأنهم إذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم في قبورهم موقف الحساب، لم يتلعثموا.

والقول الثاني: فهو إن الله يثبت المؤمنين عند سؤال القبر، والمراد بالحياة الدنيا: مدة الحياة، والآخرة: يوم القيامة والحساب، واستشهد بما روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ». وهذا مروي أيضا عن أبي هريرة.

ويؤيد ما روى البخاري في الحديث المتقدم ما وروى ابن أبي شيبة عن البراء أنه قال في الآية: التثبيت في الدنيا إذا جاء الملكان إلى الرجل في القبر، فقالا له: من ربك؟

قال: ربي الله، وقالا: وما دينك؟ قال: ديني الإسلام، وقالا: وما نبيك؟

قال: نبيي محمد صلّى الله عليه وسلّم».

وكذلك أيد القول الثاني بما روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل»[1].

(1) سنن أبي داود، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف،3221/215/3

القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقد تناول الزحيلي[1] عذاب القبر[2] في تفسيره لقوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[3].

قال[4]: ((تضمنت دلالة الآية على إثبات عذاب الكفار في البرزخ، وأن أرواح فرعون وقومه بعد موتهم في عالم البرزخ وقبل مجيء القيامة تعرض على النار وتحرق فيها صباحا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ويقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون في جهنم، حيث يكون العذاب فيها أشد ألما وأعظم نكالا واستشهد على إثبات عذاب القبر، وأنه واقع لاشك فيه بعدة أحاديث منها ما أخرج البخاري وغيرهما عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك، حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[5])).

ويرى الزحيلي بأن عذاب القبر يقع على الجسد فقال: ليس في الآية دلالة على أن الأجساد في القبور تتألم مع الروح، وتتعذب معها، وإنما دلّت السنّة على ذلك، كالحديث المتقدّم: «عذاب القبر حقّ»[6].

---

(1) التفسير المنير، 172/24

(2) أخرج مسلم في صحيحه أن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إنما تفتن يهود» قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل شعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور؟» قالت عائشة: «فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد يستعيذ من عذاب القبر» صحيح مسلم، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر،584/410/1.ويؤيده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال " صحيح مسلم، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، 588/412/1.

(3) سورة غافر، الآية، 46/40.

(4) التفسير المنير، 131/24.

(5) صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي،1379/99/2

(6) صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر،1372/98/2

الفصل الخامس

إعمال الحديث في آيات الأحكام

القرآن الكريم هو المصدر الأول لجميع العلوم الإسلامية ومن هذه العلوم علم الفقه، وليس كل آيات القرآن لها نفس الميزة في بيان الأحكام الشرعية العملية، بل هناك آيات تدل على هذا المعنى وهي التي تتضمن الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية، كآية حل البيع وحرمة الرباء، وآية المداينة، وآية الرهن، وآيات تحريم شرب الخمر، وغير ذلك من الآيات التي تتضمن حكماً شرعيًّا بنصها، أو بدلالتها، أو بسياقه، وتسمى هذه الآيات بآيات الأحكام، واختلف العلماء في عدد آياتها على أقوال فمنهم من قال هي محصورة بعدد ومنهم من قال إنها غير محصورة بعدد معين وهو القول الراجح وهو قول الإمام الشوكاني قال: ودعوى الإنحصار في هذا العدد إنما هو بإعتبار الظاهر، وإنه في الكتاب العزيز من الآيات التي تستخرج منها الأحكام الشرعية أضعاف أضعاف ذلك، بل من له فهم صحيح وتدبر كامل يستخرج الأحكام من الآيات الواردة لمجرد القصص والأمثال[1].

ومن البديهي أنه لا يمكن لاحد تفسير القرآن الكريم دون الرجوع الي حديثه صلى الله عليه وسلم فهو وحي ينزل عليه كما ينزل عليه القرآن الكريم غير أنه غير متلو وقد قال صلى الله عليه وسلم ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه[2].

أولاً: الطهارة

في تفسيره للآية:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى

(1) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول،206/2

(2) الشوكاني، نيل الأوطار، باب ما يباح من الحيوان الإنسي، 125/8

سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا)[1]

تناول الزحيلي هذه الآية تناولا شاملا مستعرضا آراء المذاهب الفقيه كلا حسب الدليل الذي استقى منه ما ذهب إليه ثم عقب كعادته في تفسيره بفقرة سماها فقه الحياة العامة وهي تحوي إجمالي ما احتوته الآية الكريمة من أحكام وسأذكرها بتصرف قال الزحيلي: ((في فقرة فقه الحياة والأحكام تضمنت الآية أحكاما عديدة هي:

1- حرمة الصلاة حال السكر من الخمر وغيره، وذلك قبل تحريم الخمر تحريما باتا قاطعا، فقد كان شرب المسكر مباحا في أول الإسلام حتى ينتهي بصاحبه إلى السكر.

2- السبب في تحريم المسكر في الصلاة هو إدراك معاني التلاوة والأدعية والأذكار الموجودة في الصلاة، وهذا معنى قوله تعالى: حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ أي حتى تعلموه متيقنين فيه من غير غلط، والسكران لا يعلم ما يقول.

3- تحرم الصلاة حال الجنابة بإنزال مني أو جماع. ويجب الغسل بالتقاء الختانين، لما أخرجه مسلم عن عائشة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومسّ الختان الختان، فقد وجب الغسل» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: إذا قعد بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب عليه الغسل» زاد مسلم: «وإن لم ينزل». وأجمع التابعون ومن بعدهم على الأخذ بحديث: «إذا التقى الختانان...».

(1)-سورة النساء،الآية،43/4

4-لا يصح لأحد أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا بعد الاغتسال، إلا المسافر فإنه يتيمم لأن الغالب في الماء أنه لا يعدم في الحضر فالحاضر يغتسل لوجود الماء، والمسافر يتيمم إذا لم يجده، ولا يدخل المسافر الجنب المسجد إلا بعد أن يتيمم في رأي الحنفية.

ورخص الإمامان مالك والشافعي في دخول الجنب المسجد لقوله صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه الأئمة الستة عن أبي هريرة: «إن المؤمن لا ينجس» ويؤيده أن الصحابة الذين كانت أبواب دورهم شارعة في المسجد، إذا أجنب أحدهم اضطر إلى المرور في المسجد..

ويمنع الجنب عند المالكية وغيرهم من قراءة القرآن غالبا إلا الآيات اليسيرة للتعوذ، لما أخرجه ابن ماجه عن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يقرأ الجنب والحائض شيئا من القرآن»[1].

5-نهى الله سبحانه وتعالى عن الصلاة إلا بعد الاغتسال، والاغتسال: معنى معقول يعبر به عن إمرار اليد مع الماء على المغسول. ولا بد أن يتدلك الجنب في اغتساله في المشهور من مذهب مالك لأن هذا هو المعقول من لفظ الغسل لأن الاغتسال في اللغة هو الافتعال، ومن لم يمرّ يديه فلم يفعل غير صب الماء لا يسميه أهل اللسان العربي غاسلا، بل يسمونه صابّا للماء ومنغمسا فيه، ويؤكده الأثر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا الشعر، وأنقوا البشرة»[2].

---

(1) سنن ابن ماجة، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة، 596/196/1، سنن الترمذي، باب ما جاء في الجنب والحائض أنهما لا يقرآن القرآن، 236/1،النووي، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، 531/208/1،ضعيف

(2) سنن ابن ماجة، باب تحت كل شعرة جنابة، 597/196/1 ،سنن الترمذي، باب ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة،106/187/1 ،قال الترمذي لا نعرفه إلا من حديثه، وهو شيخ ليس بذاك، وقد روى عنه غير واحد من الأئمة، وقد تفرد بهذا الحديث .

وقال الجمهور: يجزئ الجنب صبّ الماء والانغماس فيه إذا أسبغ وعمّ، وإن لم يتدلك، على مقتضى حديث ميمونة وعائشة في غسل النبي صلّى الله عليه وسلّم، رواهما الأئمة، وأن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يفيض الماء على جسده.

وأوجب الحنفية والحنابلة المضمضة والاستنشاق في الغسل، لقوله تعالى: حَتَّى تَغْتَسِلُوا ولأنهما من جملة الوجه، وحكمهما حكم ظاهر الوجه كالخد والجبين، فمن تركهما وصلّى، أعاد كمن ترك لمعة، ومن تركهما في وضوئه فلا إعادة عليه. وأضاف الحنابلة: هما فرض أيضا في الوضوء لقوله تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ولأن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يترك المضمضة والاستنشاق في وضوئه ولا في غسله من الجنابة.

وقال مالك والشافعي: ليستا بفرض لا في الجنابة ولا في الوضوء لأنهما باطنان كداخل الجسد لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم فعل المضمضة ولم يأمر بها، وأفعاله مندوب إليها ليست بواجبة إلا بدليل.

وأما قدر الماء الذي يغتسل به:

فروى مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يغتسل من إناء هو الفرق من الجنابة، والفرق ثلاثة آصع، والصاع 2751 غم.

وعن أنس قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يتوضأ بالمدّ، ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد، والمد 675 غم، والصاع أربعة أمداد.

6-إباحة التيمم لفقد الماء، أو للمرض، أو للسفر، لقوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى)[1] ويؤيده آية: (وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)[2] (وآية وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)[3]، وتيمم عمرو بن العاص لما خاف أن يهلك من شدة البرد، ولم يأمره صلّى الله عليه وسلّم بغسل ولا إعادة.

---

(1)-سورة النساء،الآية،43/4

(2)-سورة الحج،الآية،78/22

(3)-سورة النساء،الآية،29/4

والمرض الذي يباح له التيمم على الصحيح من قول الشافعي: هو الذي يخاف فيه فوت الروح، أو فوات بعض الأعضاء لو استعمل الماء، أو خاف طول المرض.

والسفر المبيح للتيمم: هو الطويل أو القصير عند عدم الماء، ولا يشترط أن يكون مما تقصر فيه الصلاة في رأي الجمهور. وقال قوم: لا يتيمم إلا في سفر تقصر فيه الصلاة.

وذهب المالكية وأبو حنيفة ومحمد إلى أن التيمم في الحضر والسفر جائز. وقال الشافعي: لا يجوز للحاضر الصحيح أن يتيمم إلا أن يخاف التلف. فإن عدم الماء في الحضر مع خوف فوات الوقت، تيمم الصحيح والسقيم وصلّى ثم أعاد.

وقال أبو يوسف وزفر: لا يجوز التيمم في الحضر لا لمرض ولا لخوف الوقت.

ودليل جواز التيمم في الحضر إذا خاف فوات الصلاة إن ذهب إلى الماء: من القرآن: أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أي أن المقيم إذا عدم الماء تيمم.

ومن السنة: وهو ما رواه البخاري عن أبي الجهيم بن الحارث بن الصّمة الأنصاري قال: أقبل النبي صلّى الله عليه وسلّم من نحو بئر جمل فلقيه رجل، فسلّم عليه، فلم يردّ عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم حتى أقبل على الجدار، فمسح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام.

وأخرجه مسلم وليس فيه لفظ «بئر».

7- هل الحدث يبيح التيمم في الحضر؟ قيل: إنه يبيح لآية أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ: و «أو» بمعنى الواو، أي إن كنتم مرضى أو على سفر، وجاء أحد منكم من الغائط فتيمموا، فالسبب الموجب للتيمم على هذا هو الحديث، لا المرض والسفر، فدل على جواز التيمم في الحضر، كما تقدم بيانه.

قال القرطبي: والصحيح في «أو» أنها على بابها عند أهل النظر، أي أنها للتخيير، فلأو معناها، وللواو معناها، وهناك حذف، والمعنى: وإن كنتم مرضى مرضا لا تقدرون فيه على مسّ الماء أو على سفر، ولم تجدوا ماء، واحتجتم إلى الماء.

وقوله: أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ كنى بذلك عن التغوط وهو الحدث الأصغر.

8-ملامسة النساء: كناية عن الجماع في رأي الحنفية، فالجنب يتيمم، واللامس بيده لا ينقض وضوءه، بدليل ما رواه الدار قطني عن عائشة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبّل بعض نسائه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ.

والمراد بها عند الشافعي: لمس بشرة المرأة باليد أو بغيرها من أعضاء الجسد، فمن لمس بشرة امرأة نقض طهره، ويتيمم إن فقد الماء. وقال مالك وأحمد وإسحاق: الملامس بالجماع يتيمم، والملامس باليد يتيمم إذا التذّ، فإذا لمسها بغير شهوة فلا وضوء، وهو مقتضى الآية. وأما حديث عائشة فهو مرسل. وتكون الآية مبينة حكمين:

الحدث والجنابة عند عدم الماء، وسبب الحدث: المجيء من الغائط، وسبب الجنابة: الملامسة. ولا مانع من حمل اللفظ «الملامسة» على الجماع واللمس، وإفادة الحكمين.

9-إن طلب الماء للمسافر شرط في صحة التيمم عند مالك والشافعي وأحمد، وليس بشرط عند أبي حنيفة.

والمقصود بوجود الماء: أن يجد منه ما يكفيه لطهارته، فإن وجد أقل من كفايته تيمم ولم يستعمل ما وجد منه، وهذا قول أكثر العلماء.

وأجاز أبو حنيفة الوضوء بالماء المتغير كماء الباقلاء وماء الورد، لقوله تعالى:فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فقال: هذا نفي في نكرة، فيعم لغة، فيكون مفيدا جواز الوضوء بالماء المتغير وغير المتغير لإطلاق اسم الماء عليه.

وأجمع العلماء على أن الوضوء والاغتسال لا يجوز بشيء من الأشربة سوى النبيذ عند عدم الماء.

والماء الذي يبيح عدمه التيمم: هو الطاهر المطهر الباقي على أوصاف خلقته.

10- قوله تعالى: فَتَيَمَّمُوا: يدل على مشروعية التيمم، وهو من خصائص هذه الأمة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «فضّلنا على الناس بثلاث: جعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء»[1] والتيمم شرعا: مسح الوجه واليدين بالتراب، لقوله تعالى: فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً أي اقصدوا.

ويلزم التيمم كل مكلف لزمته الصلاة إذا عدم الماء، ودخل وقت الصلاة.

وقال أبو حنيفة وصاحباه والمزني صاحب الشافعي: يجوز قبله لأن طلب الماء عندهم ليس بشرط قياسا على النافلة، فلما جاز التيمم للنافلة دون طلب الماء، جاز أيضا للفريضة، واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام لأبي ذرّ عند أبي داود والنسائي والترمذي: «الصعيد الطيب وضوء المسلم، ولو لم يجد الماء عشر حجج».

فسمى عليه السلام الصعيد وضوءا كما يسمى الماء، فحكمه إذن حكم الماء. ودليل المالكية والشافعية والحنابلة قوله تعالى: فَلَمْ تَجِدُوا ماءً ولا يقال: لم يجد الماء إلا لمن طلب ولم يجد.

وأجمع العلماء على أن التيمم لا يرفع الجنابة ولا الحدث، وأن المتيمم لهما إذا وجد الماء عاد جنبا كما كان أو محدثا لقوله عليه الصلاة والسلام لأبي ذرّ: «إذا وجدت الماء فأمسّه جلدك».

وأجمعوا على أن من تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول في الصلاة بطل تيممه، وعليه استعمال الماء، والجمهور على أن من تيمم وصلّى وفرغ من صلاته، وقد كان

---

(1) صحيح مسلم، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، 522/371/1

اجتهد في طلبه الماء، ولم يكن في رحله: أن صلاته تامة لأنه أدى فرضه كما أمر، فغير جائز أن توجب عليه الإعادة بغير حجة، لما أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة، وليس معهما ماء، فتيمما صعيدا طيبا فصليا، ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة بالوضوء، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد: «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك» وقال للذي توضأ وأعاد: «لك الأجر مرتين».

وقال الزحيلي[1]: واختلف العلماء إذا وجد الماء بعد دخوله في الصلاة فقال مالك والشافعي: ليس عليه قطع الصلاة واستعمال الماء، وليتمّ صلاته، وليتوضأ لما يستقبل لقوله تعالى: وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ وقد اتفق الجميع على جواز الدخول في الصلاة بالتيمم عند عدم الماء، ومن شرع في صوم عن كفارة ظهار أو قتل، ثم وجد رقبة لا يلغى صومه ولا يعود إلى الرقبة، وقال أبو حنيفة وأحمد والمزني: يقطع ويتوضأ ويستأنف الصلاة لوجود الماء. وحجتهم أن التيمم لما بطل بوجود الماء قبل الصلاة، فكذلك يبطل ما بقي منها، وإذا بطل بعضها بطل كلها لإجماع العلماء على أن المعتدة بالشهور لا يبقى عليها إلا أقلها ثم تحيض أنها تستقبل عدتها بالحيض، ومثل ذلك الذي يطرأ عليه الماء وهو في الصلاة، واختلفوا: هل يصلّى بالتيمم صلوات أو يلزم التيمم لكل صلاة فرض ونفل؟ فقال مالك والشافعي: لكل فريضة لأن عليه أن يبتغي الماء لكل صلاة، فمن ابتغى الماء فلم يجده فإنه يتيمم، وقال أبو حنيفة وداود الظاهري: يصلي ما شاء بتيمم واحد ما لم يحدث لأنه طاهر، ما لم يجد الماء، وليس عليه طلب الماء إذا يئس منه، وهل يجوز التيمم قبل دخول الوقت؟ الشافعي ومالك: لا يجوزانه لأنه لما قال الله تعالى: فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا ظهر منه تعلق أجزاء التيمم بالحاجة، ولا حاجة قبل الوقت، وعلى هذا فلا يصلّي الشخص

(1) التفسير المنير،90/5

فرضين بتيمم واحد. وأجاز أبو حنيفة التيمم قبل دخول الوقت لأن طلب الماء عنده ليس بشرط.

11- الصعيد الطيب: الصعيد: وجه الأرض، كان عليه تراب أو لم يكن.

والطيب: الطاهر وقيل: الحلال. وبناء عليه قال مالك وأبو حنيفة: يتيمم بوجه الأرض كله، ترابا كان أو رملا أو حجارة أو معدنا أو سبخة.

وقال الشافعي وأبو يوسف: الصعيد: التراب المنبت، وهو الطيب، قال تعالى: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ)[1] فلا يجوز التيمم عندهما على غيره. قال الشافعي: لا يقع الصعيد إلا على تراب ذي غبار.

واشترط الشافعي: أن يعلق التراب باليد، ويتيمم به نقلا إلى أعضاء التيمم، كالماء ينقل إلى أعضاء الوضوء.

وأجمع العلماء على أن يتيمم الرجل على تراب منبت طاهر منقول إلى العضو الممسوح لا مغصوب، وعلى أنه لا يتيمم على الذهب الصّرف والفضة والياقوت والزّمرّد والأطعمة كالخبز واللحم وغيرهما أو على النجاسات. واختلف في غير هذا كالمعادن، فأجازه مالك وغيره، ومنعه الشافعي وغيره.

ويجوز عند مالك التيمم على الحشيش إذا كان دون الأرض، وفي المدونة والمبسوط جواز التيمم على الثلج، وفي غيرهما منعه. والجمهور على منع التيمم على العود، وجمهور المالكية أجازوا التيمم على التراب المنقول من طين أو غيره، وعند المالكية قولان في التيمم على ما طبخ كالجص والاجرّ، وعلى الجدار، قال القرطبي: والصحيح الجواز على الجدار، لحديث أبي جهيم بن الحارث بن الصّمّة الأنصاري الذي أخرجه البخاري، قال: أقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من نحو بئر جمل (موضع قرب المدينة) فلقيه رجل فسلم عليه، فلم يردّ عليه النبي صلّى الله

(1)-سورة الاعراف،الآية،58/7

عليه وسلّم حتى أقبل على الجدار، فمسح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام. وهو دليل على صحة التيمم بغير التراب كما يقول مالك ومن وافقه.

وقال الثوري وأحمد: يجوز التيمم بغبار اللّبد. وأجاز أبو حنيفة التيمم بالكحل والزّرنيخ والنّورة والجص والجوهر المسحوق.

12- كيفية التيمم: دل قوله تعالى: فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ على أن محل التيمم: الوجه واليدان، وقوله مِنْهُ يدل في رأي الشافعي علىأنه لا بد من نقل التراب إلى محل التيمم، ولا يشترط المالكية النقل، بدليل تيممه عليه الصلاة والسلام على الجدار.

وقال الجمهور: يبدأ بالوجه ثم اليدين لقوله تعالى: بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ.

وقال الحنفية والشافعية: يبلغ بالتيمم في اليدين إلى المرفقين، قياسا على الوضوء، وبدليل رواية التيمم إلى المرفقين عن جابر وابن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وذهب المالكية والحنابلة إلى أنه يبلغ به إلى الكوعين وهما الرسغان، لحديث عمار بالتيمم إلى الكوعين: وهو أن النبي صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه أحمد وأبو داود أمره بالتيمم للوجه والكفين.

وذهب الحنفية والشافعية إلى أن التيمم ضربتان: ضربة للوجه، وضربة لليدين لحديث ابن عمر في ذلك. ورأى المالكية والحنابلة أن الفريضة:

الضربة الأولى، أي وضع اليد على الصعيد، وأما الضربة الثانية فهي سنة[1])).

ثانيا: العبادات

تناول الزحيلي الوقوف بعرفة في تفسيره لقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ

(1) - التفسير المنير، 94/5

كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1]

فقال[2]:((وهل على من وقف نهارا فقط في عرفات شيء؟ أوجب الجمهور (غير الشافعية) الوقوف إلى غروب الشمس، ليجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة، اقتداء بفعل النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فإن أفاض (دفع) قبل غروب الشمس، ولم يرجع، فحجّه صحيح تام، وعليه دم عند الحنفية والحنابلة، وقال مالك: عليه حجّ قابل، وهدي ينحره في حجّ قابل، وهو كمن فاته الحج، وذهب الشافعية إلى أنه يسنّ الجمع بين الليل والنهار فقط، اتّباعا للسّنة، فإن أفاض قبل الغروب، فلا دم عليه، وإن لم يعد إلى عرفة ليلا للخبر الصحيح: «من أتى عرفة قبل الفجر ليلا أو نهارا، فقد تمّ حجه».

وقال: الأفضل أن يقف بعرفة راكبا لمن قدر على الركوب، إقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولأنه أعون على الدعاء، فإن لم يقدر على الركوب وقف قائما على رجليه داعيا، ما دام يقدر، ولا حرج عليه في الجلوس إذا لم يقدر على الوقوف. وفي الوقوف راكبا تعظيم للحج قال الله تعالى: (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ، فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)[3].

وظاهر عموم القرآن والسّنة الثابتة يدلّ على أن عرفة كلها موقف، قال صلّى الله عليه وسلّم: «ووقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف[4]» ويوم عرفة فضله عظيم وثوابه جسيم، يكفر الله فيه الذنوب العظام، ويضاعف فيه الصالح من الأعمال، وقال رخص الإمامان مالك والشافعي في دخول االآية، لجنب المسجد لقوله صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه الأئمة الستة عن أبي هريرة: «إن المؤمن لا ينجس» ويؤيده

---

(1)-سورة البقرة،الآية،198/2-199

(2)- التفسير المنير ،221/2

(3) -سورة الحج ،الآية، 32/22

(4) -صحيح مسلم،باب ماجاء في عرفة كلها موقف،18/12/893/2 ولفظه عن جابر، في حديثه ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «نحرت هاهنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف، ووقفت هاهنا، وجمع كلها موقف»

أن الصحابة الذين كانت أبواب دورهم شارعة في المسجد إذا أجنب أحدهم اضطر إلى المرور في المسجد)).

ثالثاً: المعاملات

وهي الدين والرهن وتوثيق الدين المؤجل بالكتابة أو الشهادة أو الرهن وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى وَلا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَلا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَأَدْنى أَلاَّ تَرْتابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوها وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)[1].

قال الزحيلي[2]: ((يا من اتصفتم بالإيمان إذ تعاملتم بالدّين المؤجل في الذمة بيعا أو سلما أو قرضا، كبيع شيء بثمن مؤجل، أو بيع سلعة مؤجلة إلى أجل مسمى مع بيان الجنس والنوع والقدر، بثمن معجل وهو المسمى بالسلم أو السلف، وقرض مبلغ من المال، إذا تعاملتم ببدل مؤجل، فاكتبوا ما يدل على هذا التعامل، مع بيان الأجل بالأيام أو بالأشهر أو بالسنين، أي بكونه معلوما، لا بالتأجيل إلى الحصاد

(1)-سورة البقرة،الآية،282/2-283

(2)- التفسير المنير،108/1

والدراس مما لا يرفع الجهالة في رأي الجمهور لأن الكتابة أوثق في ضبط المتفق عليه، وأرفع للنزاع.

وذكر الزحيلي كيفية الكتابة قائلا: بيّن الله كيفية الكتابة وعين من يتولاها، بأن يكتب كاتب مأمون عادل محايد، فقيه متدين يقظ دون ميل لأحد الجانبين، مع وضوح المعاني، وتجنب الألفاظ المحتملة للمعاني الكثيرة، فهو كالقاضي بين الدائن والمدين. وهذا يدل على اشتراط العدالة في الكاتب.

ثم ذكر الزجيلي أمور تتعلق بالكاتب فقال: ((ثم أوصى الله –عز وجل– الكاتب ونهاه عن الإباء: فلا يمتنع أحد من الكتاب عن كتابة وثيقة الدين، ما دام يمكنه ذلك، على الطريقة التي علمه الله في كتابة الوثائق، أو كالتي علمه الله، فالكاف صفة لموصوف محذوف، فلا يزيد ولا ينقص ولا يضر أحدا، والكتابة نعمة من الله عليه، فمن شكرها ألا يمتنع عنها، وإن كانت بأجر)).

ويذكر الزحيلي[1] بعض الفوائد مما دلت عليه الآية قائلا: ((وهذا يدل على اشتراط كون الكاتب عالما بالأحكام الشرعية والشروط المرعية عرفا ونظاما، وقدّم اشتراط العدالة على العلم لأنها أهم من العلم، فالعادل يمكنه تعلم ما تتطلبه كتابة الوثائق، وأما العالم غير العادل فلا يهديه علمه للعدالة، وإنما يفسد ولا يصلح.

ودل قوله: وَلا يَأْبَ على أن العالم العادل إذا دعي للقيام بالكتابة ونحوها، وجب عليه تلبية الدعوة، ثم أكد الله تعالى النهي عن الإباء بالأمر بالكتابة بالحق، لكون الوثيقة متعلقة بحفظ الحقوق.

ومنها أن الذي يتولى الإملاء هو المدين فقال: أرشد الله تعالى إلى أن الذي يتولى إملاء البيانات على الكاتب إنما هو المدين، فإنه المكلف بأداء مضمون الكتابة، ليكون بيانه وإملاؤه حجة عليه، ثم أوصاه تعالى بأمرين: هما تقوى الله في الإملاء، بأن يذكر ما عليه كاملا، وألا ينقص من الحق الذي عليه شيئا.

---

(1)–التفسير المنير،108/1

ويلاحظ أن الكاتب أمر بالعدل فلا يزيد ولا ينقص، والمدين نهي عن النقص فقط لأن هذا هو المنتظر منه أو المتصور منه دون سواه.

ومنها أحوال ناقصي الأهلية فقال: فإن كان المدين (الذي عليه الحق) سفيها أي مبذرا في ماله ناقص العقل والتدبير، أو ضعيفا بأن كان صبيا أو مجنونا أو جاهلا أو هرما لم تساعده قواه العقلية على ضبط الأمور، أو عاجزا عن الإملاء لكونه جاهلا أو ألكن أو أخرس أو معتقل اللسان، أو أعمى، فعلى وليه الذي يتولى أموره من قيّم أو وكيل أو مترجم أن يملي الحق على الكاتب بالعدل والإنصاف، بلا زيادة ولا نقص.

ومنها دور الإثبات: فأرشد تعالى على سبيل الندب لضبط الوقائع وحفظ الأموال إلى الشهادة على المداينة، ونصاب الشهادة: رجلان أو رجل وامرأتان.

وقوله: مِنْ رِجالِكُمْ دليل على اشتراط الإسلام والحرية في الشهود لأن الكلام وارد في معاملاتهم. وأما العدالة في الشهود فاشترطوها بقوله تعالى:(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ)[1].

ومنها مقبول الشهادة ومرفوضها: يرى أبو يوسف أن من سلم من الفواحش التي يجب فيها الحدود، وما يجب فيها من العظائم، وأدّى الفرائض، وأخلاق البر فيه أكثر من المعاصي الصغار، قبلت شهادته لأنه لا يسلم عبد من ذنب، ولا تقبل شهادة من ذنوبه أكثر من أخلاق البر، ولا من يلعب الشطرنج يقامر عليها، ولا من يلعب بالحمام ويطيرها، ولا تارك الصلوات الخمس في جماعة استخفافا أو فسقا، لا أن تركها على تأويل، وكان عدلا، ومن يكثر الحلف بالكذب، ولا مداوم على ترك ركعتي الفجر، ولا معروف بالكذب الفاحش، ولا مظهر شتيمة أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا شتام الناس والجيران، ولا من اتهمه الناس بالفسق والفجور، ولا متهم بسب الصحابة حتى يقولوا: سمعناه يشتم.

---

(1)-سورة الطلاق،الآية،2\65

وقال ابن أبي ليلى وأبو حنيفة: تقبل شهادة أهل الأهواء العدول إلا صنفا من الرافضة وهم الخطابية، وقال محمد: لا أقبل شهادة الخوارج، وأقبل شهادة الحرورية لأنهم لا يستحلون أموالنا، فإذا خرجوا استحلوا.

ومنها جعل شهادة المرأتين بشهادة رجل: أي اعتبار العدد في شهادة النساء: وهو التذكير صونا لحكم الشهادة لعدم ضبط المرأة وقلة عنايتها ونسيانها، فتذكر كل منهما الأخرى. وبما أن العلة في الحقيقة هي التذكير، وكان الشأن في النساء النسيان، نزّل النسيان منزلة العلة، أي نزل السبب منزلة المسبب. فقد جرت العادة أن المرأة لا تهتم كثيرا بالمعاملات المالية[1]

رابعا: الحدود

ذكر الزحيلي أحكاما في معامة المرتد عن دينه وما يترتب عليه من أحكام شرعية متعلقة بكسبه في حياته وميراثه ففي تفسيره للآية: (ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[2] قال: قال الحنفية: يستحب أن يستتاب المرتد، ويعرض عليه الإسلام، لاحتمال أن يسلم، لكن لا يجب، لأن دعوة الإسلام قد بلغته، ودليلهم أن بعض الصحابة قتلوا في عهد عمر رجلا كفر بالله تعالى بعد إسلامه، ولم يستتيبوه[3].

وقال الجمهور: تجب استتابة المرتد قبل قتله ثلاث مرات، لأن امرأة يقال لها: «أم مروان ارتدت عن الإسلام، فبلغ أمرها إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فأمر أن تستتاب، فإن تابت وإلا قتلت»[4] وثبت عن عمر وجوب الاستتابة.

---

(1)-التفسير المنير،1110

(2) -سورة،الآية،217/2

(3)- رواه مالك في الموطأ والشافعي والبيهقي.

(4)- رواه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وإسناده ضعيف

وأما ميراث المرتد: فلورثته من المسلمين في رأي علي والحسن البصري وجماعة، ولبيت المال في رأي مالك والشافعي وأحمد لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم[1]، وقال أبو حنيفة: ما اكتسبه المرتد في حال الردة فهو فيء لبيت المال، وما كان مكتسبا في حالة الإسلام، ثم ارتد، يرثه ورثته المسلمون.

وقال أبو يوسف ومحمد وابن شبرمة: ما اكتسبه المرتد بعد الردة فهو لورثته المسلمين.[2]

معصية الزنى:

تناول الزحيلي في تفسيرة معصية الزنى والحد المترتب عليها وذلك في تفسيره لقوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[3].

فقال[4]: ومواضع الضرب في الحدود والتعزير: ظهر الإنسان في رأي مالك لقوله صلّى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس: «البينة وإلا حدّ في ظهرك»[5]، وسائر الأعضاء ما عدا الوجه والفرج والرأس في رأي الجمهور.

---

(1)–صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر ، 1614/1233/3

(2)–التفسير المنير،217/2

(3)–سورة النور،الآية،2/24–3

(4) –التفسير المنير، 137/18

(5) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين} [النور: 8]، 4747/100/1.

وكيفية ضرب الرجال والنساء مختلف فيها، فقال مالك: الرجل والمرأة في الحدود كلها سواء، لا يجزي عنده إلا في الظهر، وقال الحنفية والشافعية: يجلد الرجل وهو واقف، والمرأة وهي قاعدة.

قال الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1] قال يأمر تعالى ولاة الأمور ويحكم بقطع يد السارق والسارقة، فمن سرق من رجل أو امرأة، تقطع يده من الرسغ، ويبدأ بقطع اليد اليمنى، فإن عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمنى، ثم يعزر ويحبس، ثم ذكر الزحيلي اقوال بعض المذاهب في قطع يد السارق فقال: لما رواه الدار قطني من أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إذا سرق السارق فاقطعوا يده، ثم إذا عاد فاقطعوا رجله اليسرى» وهذا رأي المالكية والشافعية. وقال الحنفية والحنابلة: لا يقطع أصلا بعد اليد اليمنى والرجل اليسرى.

وصرح القرآن بحكم السارقة لحدوث السرقة كثيرا من النساء كالرجال، مما يقتضي الزجر، وإن كان الغالب في تشريع الأحكام إدراج النساء في حكم الرجال[2]، والسرقة: أخذ المال خفية من حرز المثل، والحرز نوعان: حرز بنفسه: وهو المكان كالدار والصندوق، وحرز بغيره وهو الحافظ: كالأماكن العامة المحروسة بحارس، والمتاع الذي يوجد صاحبه عنده. والحرز: هو ما نصب عادة لحفظ أموال الناس.

ثم ذكر فائدة وهي متى لا تقطع يد السارق والنصاب الشرعي الذي تقطع فيه يد اسارق فقال: ولا تقطع يد السارق إلا إذا كان بالغا عاقلا، كما هو الشأن في المطالبة بجميع التكاليف الشرعية ومنها عقوبات الحدود، لا فرق فيها بين الجماعة والفرد، وألا تكون هناك شبهة كالسرقة من المحارم والضيف من المضيف، لحديث

(1) سورة المائدة، الآية، 5/38–39

(2) التفسير المنير، 179/1

رواه ابن عدي عن ابن عباس: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»[1] وأن يؤخذ المال من الحرز إما بنفسه أو بالحافظ، لما رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلّى الله عليه وسلّم سئل عن الثمر المعلّق فقال: «.. ومن سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين، فبلغ ثمن المجن، فعليه القطع» وأن يكون المسروق بالغا مقدار النصاب الشرعي، وللفقهاء رأيان أو ثلاثة في تقدير نصاب السرقة.

(1) –ابن حجر، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، باب حد الزاني،1233/375/1، ضعيف جدا . رواه البيهقي (838)

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث بفضل الله تعالى توصلت إلي عدة نتاج من أهمها ما يلي:-

1-كان الزحيلي ملما بأكثر تفاسير سابقيه، وهذا ظاهر من خلال النظر في تفسيره فقد اعتمد على أكثر من عشرين تفسيرا على اختلاف مدارسها.

2-الزحيلي كان مهتما بإسناد الأحاديث إلي مصادرها من الرواة ، فكانت عامة الأحاديث مسندة ألي رواتها ، أما إسنادها إلي الكتب فكان يكتفي في غالب الأحاديث بذكر المؤلف ، وهذا منهج علمي أصيل ..

3-اشترط الزحيلي على نفسه بعض الشروط من ظمنها اتباع نظام الفقرات ولكنه لم يلتزم بمحتواها كما ينبغي.

4-تعهد الزحيلي بأن يتجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أسباب النزول وفي اثناء التفسير نجد أنه يذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة، والغريب أنه بعد أن يذكر الحديث يعقب بقوله موضوع أو ضعيف.

5-اعتمد الزحيلي على الحديث النبوي في استنباط الأحكام والإستدلال عليها في تفسيره ولم يكن دقيقا في التقيد بلفظ الحديث في الكثير من المواضع و كان مكثرا من روايته بغير اللفظ الحديثي، ومن الملاحظ أن الزحيلي لم يصرح بأنه يروي الحديث بالمعنى .

6-لم يلتزم الزحيلي بمذهبه الشافعي في تفسيره وقوفا عند شرطه في مقدمة التفسير بأنه سيعتمد على الدليل، ولكنه لم يكن موفقا في ذلك، ويرى الباحث بأنه وقع في ترجيحات دون الإعتماد على دليل بل قد يكون في مخالفة الحديث النبوي.

7-يرى الباحث أن الزحيلي لم يظهر شخصيته في التفسير المنير بل إنه يكثر من النقولات من التفاسير السابقة دون النظر فيها وترجيح بعضها على بعض وقد ذكر في مقدمة التفسير المنير بأنه سوف ينقل أولى الأقوال بالصواب.

8-من الملاحظ أن الزحيلي لم يهتم بما يحصل للقاري من فهم لبعض القضايا ويتضح ذلك من خلا تركه لبعضها دون تحرير وايضاح أصوب الأقوال منها ونقله من كتب التفسير دون الإشارة إليها مع الإخلال بمعنى السياق..

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ...الآية	آل عمران	102/3	1
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ... .الآية	النساء	1/4	1
الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ... .الآية	الرعد	1	16
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	الفاتحة	7/1	19
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ... .الآية	النساء	69/4	19
أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ	المائدة	1/5	56
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ	البقرة	247/2	20
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ... .الآية	الانفال	60/8	20
لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ ... .الآية	البقرة	225/2	21
وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ... .الآية	البقرة	80/2	21
وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً ... .الآية	النساء	92	23
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ... .الآية	المائدة	2/5	24
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ ... .الآية	البقرة	65/2	23
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ ... .الآية	البقرة	20/2	73
وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ ... .الآية	البقرة	228/2	25
وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا ... .الآية	البقرة	73-67/2	31
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ... الآية	المائدة	101/5	31
وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ... .الآية	البقرة	115/2	32
أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى ... .الآية	البقرة	184/2	37
فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ ... .الآية	البقرة	160/2	38
حرمت عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ .... .الآية	النساء	23	39
وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ... .الآية	السجدة	12/32	61
وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ، يَنْظُرُونَ ... .الآية	الشورى	45/42	61
تَصْلى ناراً حامِيَةً، تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ... .الآية	الغاشية	7-6-5-4/88	62
وَلا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ... .الآية	الحاقة	36 /69	62

الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ... .الآية	الدخان	44-43/44	62
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي ... .الآية	البقرة	178/2	46-45
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ... .الآية	البقرة	278/2	46
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ... .الآية	آل عمران	159/3	43-42
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ... .الآية	النساء	92/4	43
الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ...	البقرة	29/2	44
اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ ... .الآية	الزمر	42/39	48
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ... .الآية	المجادلة	11/58	49
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى ... .الآية	النساء	43/4	52
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ... .الآية	المائدة	1/5	56
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ... .الآية	التوبة	18/9	57
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ... .الآية	الحجر	95/15	57
وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ ..... .الآية	النساء	25/4	58
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا ... .الآية	الاسراء	29/17	58
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ... .الآية	الاعراف	48/7	59
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا ... .الآية	النساء	101،102،103/4	64
الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... .الآية	البقرة	29/2	65
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ... .الآية	التوبة	34،35/9	66
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... .الآية	الاسراء	101/17	67
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ... .الآية	البقرة	219/2	47
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ... .الآية	يوسف	24/12	68
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتاب.. .الآية	ال عمران	3/100-101-102-103	70
وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرا... .الآية	الكهف	83/18	70
وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ... .الآية	الاسراء	85/17	70
يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ ... .الآية	الاعراف	178/7	70

الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا ... .الآية	البقرة	17/2	73
إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... .الآية	البقرة	158/2	74
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... .الآية	البقرة	153،154/2	76
وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ... .الآية	الاعراف	79–73/7	96
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ	هود	53/11	97
فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ... .الآية	الاعراف	77/7	98
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا ... .الآية	الاعراف	95/7	99
فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ، فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا، أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً، فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ	الانعام	44/6	100
وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيناها إِبراهيمَ عَلى قَومِهِ ... .الآية.	الانعام	83/6	104
إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ... .الآية	يوسف	8/12	107
قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ ... .الآية	يوسف	26/12	107
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ... .الآية.	يوسف	50/12	108
وَقالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ ....الآية	يوسف	67/12	109
وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ... .الآية	يوسف	54/12	111
ارْجِعُوا إِلى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ... .الآية	يوسف	81/12	111
إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	الزخرف	86	111
وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ	يوسف	82/12	112
وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ	يوسف	84/12	113
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ	يوسف	92/12	113
فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ... .الآية	يوسف	96/12	114
قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ	يوسف	29/12	115
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ... .الآية	يوسف	100/12	116
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ	يوسف	106/12	117
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... .الآية	لقمان	25/31	117
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ ... .الآية	البقرة	186/2	117

الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً، إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ... .الآية	الأعراف	55/7	118
وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ... .الآية	آل عمران	135/3	120
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ... .الآية.	النساء	43/4	147-146
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى..... .الآية	النساء	43/4	52
وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.... .الآية.	الحج	78/22	149
وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ... .الآية	النساء	29/4	149
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ... .الآية	الاعراف	58/7	154
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ ... .الآية	البقرة	199-198/2	156
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... .الآية	البقرة	283-282/2	157
وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ... .الآية	الطلاق	2/65	87
ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان اسْتَطَاعُوا ... .الآية	البقرة	217/2	160
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ... .الآية	النور	3-2/24	161
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ... .الآية	المائدة	39-38/5	162
وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ	الزمر	75/39	122
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ	هود	7/11	122
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ	غافر	7/40	123
وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ	الحاقة	17/69	123
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ	الاعراف	54/7	123
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ	يونس	3/10	123
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... .الآية	الرعد	2/13	123
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	طه	5/20	123
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ	الفرقان	59/25	123
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ	السجدة	4/32	124

الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ	الحديد	4/57	124
الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى	طه	5/20	123
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... .الآية	الأعراف	54/7	126
الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ... .الآية	الفرقان	59/25	129
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ ... .الآية	السجدة	4/32	130
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ ... .الآية	الحديد	4/57	130
يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ... .الآية	القلم	42/68	131
وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ...	النمل	82/27	132
وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ... .الآية	المدثر	31/74	141
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ... .الآية	ابراهيم	27/14	143
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ... .الآية	غافر	46/40	145

فهرس الأحاديث

ر.م	الحديث	رقم الصفحة
.1	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ...	1
.2	ومنه ما كان بالرأي والإجتهاد...	19
.3	الأئمة من قريش...	20
.4	ألا إن القوة: الرمي...	20
.5	من كان حالفا فليحلف بالله...	21
.6	لما فتحت خيبر...	21
.7	أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب...	23
.8	كان الحارث بن يزيد من بني...	23
.9	قدم الحطم بن هند البكري المدينة...	24
.10	العين حق...	109
.11	أعيذ كما بكلمات الله التّامة...	109
.12	أبغض الحلال إلى الله الطلاق...	25
.13	وافقت ربي...	82
.14	وكره لكم قيل وقال...	32
.15	كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلي، وهو مقبل من مكة...	32
.16	أوله رحمة، وأوسطه مغفرة	37
.17	لو أنكم توكلتم على الله حق توكله...	38
.18	أعقلها وأتوكل...	39
.19	نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم أن تنكح المرأة على...	40
.20	لا يقتل مسلم بكافر...	46

ر.م	الحديث	رقم الصفحة
.21	لا يقتل حر بعبد...	46
.22	النذر نذران...	47
.23	المستشار مؤتمن...	43
.24	أين الله؟»، قالت: في السماء...	43
.25	تحضر الملائكة، فإذا كان الرجل صالحا...	48
.26	يشفع يوم القيامة ثلاثة...	49
.27	لا يقبل الله صلاة أحدكم...	52
.28	كان يتوضأ لكل صلاة غالبا...	52
.29	إن الله كتب الإحسان على كل شيء...	56
.30	إنما عمّار المساجد هم أهل الله...	57
.31	إن بيوتي في أرضي المساجد...	57
.32	فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون...	58
.33	الحرائر: صلاح البيت...	58
.34	التدبير نصف العيش...	59
.35	ما من يوم يصبح العباد فيه...	59
.36	أدّ الأمانة إلى من ائتمنك...	60
.37	ألا أخبركم بالتيس المستعار...	66
.38	لا، إلا نكاح رغبة...	66
.39	تبّا للذهب والفضة...	67
.40	إذا همّ عبدي بحسنة...	69
.41	كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية...	74

ر.م	الحديث	رقم الصفحة
.42	إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم...	97
.43	لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين...	97
.44	فانتدب لها رجل ذو عزة ومنعة...	98
.45	لا تسألوا الآيات، فقد سألها...	99
.46	عجبا لأمر المؤمن...	100
.47	لا يزال البلاء بالمؤمن...	100
.48	موت الفجأة رحمة للمؤمن...	100
.49	الكريم ابن الكريم ابن الكريم...	105
.50	فإذا أنا بيوسف...	105
.51	أتى النبي صلى الله عليه وسلّم رجل من يهود، يقال لله: بستانه اليهودي...	106
.52	إذا رأى أحدكم ما يحب...	106
.53	اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم...	107
.54	تكلم أربعة وهم صغار...	108
.55	رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين...	108
.56	ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف...	108
.57	أعيذ كما بكلمات الله التّامة...	109
.58	بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك...	109
.59	ألا برّكت...	110
.60	لا ضرر ولا ضرار...	110
.61	إن العين لتدمع...	111

ر.م	الحديث	رقم الصفحة
.62	ألا أخبركم بخير الشهداء...	111
.63	فمَنِ اتّقى الشُبُهات فقد استبرأ لدينه...	112
.64	على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي...	112
.65	تدمع العين، ويحزن القلب...	113
.66	الحمد لله الذي صدق وعده...	114
.67	من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه...	115
.68	أينحني بعضنا إلى بعض إذا التقينا...	116
.69	قوموا إلى سيّدكم...	116
.70	من سرّه أن يتمثّل له النّاس قياما...	116
.71	أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك...	117
.72	إذا جمع الله الأوّلين والآخرين...	117
.73	لا يزال يستجاب للعبد...	118
.74	الرجل يطيل السفر أشعث أغبر...	118
.75	من همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه...	121
.76	ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه...	146
.77	إذا جلس بين شعبها الأربع...	147
.78	إذا قعد بين شعبها الأربع ثم جهدها...	147
.79	إن المؤمن لا ينجس...	148
.80	تحت كل شعرة جنابة...	148
.81	أقبل النبي صلّى الله عليه وسلّم من نحو «بئر جمل «1» » فلقيه رجل...	150

ر.م	الحديث	رقم الصفحة
.82	فضّلنا على الناس بثلاث...	152
.83	من أتى عرفة قبل الفجر ليلا أو نهارا...	156
.84	إن المؤمن لا ينجس...	148
.85	لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم...	161
.86	البينة وإلا حدّ في ظهرك...	162
.87	ومن سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين...	163
.88	فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ...	123
.89	لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش...	124
.90	فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش...	123
.91	يكشف ربنا عن ساقه...	131
.92	أشرف علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم من غرفة...	133
.93	لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات...	133
.94	ثلاث خرجات من الدهر...	133
.95	ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة...	133
.96	من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى...	134
.97	ليلزم كل إنسان مصلاه...	134
.98	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن...	102
.99	ألا هل كنت حدثتكم...	136
.100	مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمدينة...	140
.101	ثم قال: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَما...	140
.102	المسلم إذا سئل في القبر...	144

فهرس الأعلام

ر.م	اسم العلـــم	الصفحة
.1	ابن أبي شيبة	65
.2	ابن أبي ليلى	160
.3	ابن المنذر	66
.4	ابن تيمية	71
.5	ابن جرير الطبري	24
.6	ابن حبان	37
.7	ابن حجر	79
.8	ابن خزيمة	36
.9	ابن عطية	59
.10	ابن كثير	63
.11	ابن مردويه	57
.12	أبو العالية	124
.13	أبو حنيفة	51
.14	أبو يوسف	150
.15	البخاري	21
.16	البرقاني	62
.17	البيهقي	46
.18	التستري	119
.19	الحسن البصري	90
.20	الزمخشري	139

ر.م	اسم العلـــم	الصفحة
.21	سعيد بن المسيب	12
.22	الشافعي	64
.23	الشوكاني	146
.24	الضياء المقدسي	61
.25	عبد بن حميد	57
.26	عقبة بن عامر	66
.27	عكرمة	23
.28	الليث بن سعد	21
.29	المزني	152
.30	النعمان بن بشير	34
.31	وابن شبرمة	161
.32	الواحدي	63
.33	وداود الظاهري	153

المصادر والمراجع

القرآن الكريم (برواية الإمام حفص عن عاصم).

1. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام 1412 هـ - 1992 م، ط2
2. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، تح: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان 1417هـ-1996م، (د-ط).
3. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تح: علي محمد البيجاوي، دار الجيل – بيروت – لبنان 1412هـ، ط1.
4. أضواء البيان، محمد الأمين المختار الشنقيطي، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت – لبنان 1415هـ-1995م، (د-ط).
5. الأعلام، الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان،
6. ط17 - أيار / مايو 2002 م
7. البداية والنهاية، لابن كثير، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية 1417هـ-1997م، ط1.
8. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للإمام للشوكاني، (د-تح)، (د-ط).
9. تاج العروس، لأبي الفضل الملقب بمرتضى الزبيدي، تح: مجموعة محققين، دار الهداية، (د-ط).
10. تاريخ أبي الفداء، للملك المؤيد اسماعيل بن أبي الفداء (د – ن).
11. التاريخ الكبير، للبخاري، تح: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، (د – ط).
12. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (د – تح)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، (د – ط).

13. تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، تح: عبدالغني بن حميد بن محمود الكبيسي، دار حراء – مكة المكرمة 1406هـ، ط1.
14. تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان 1419هـ–1998م، ط1.
15. الترغيب والترهيب، لأبي القاسم الأصفهاني، تح: أيمن صالح شعبان، دار الحديث – القاهرة 1414هـ، ط1.
16. التعديل والتجريح: لأبي الوليد الباجي، تح: أحمد لبزاز، (د – ط).
17. تفسير الطبري، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط1.
18. التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، مكتبة القاهرة، (د – ط).
19. تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تح: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا 1406هـ–1986م، (د – ط).
20. تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، جامعة الكويت، (د – ط).
21. الجرح والتعديل، لأبي حاتم الرازي، (د – تح) دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 1271هـ–1952م، ط1.
22. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تح: محمد عبدالمعيد ضان، دار المعارف العثمانية 1392هـ–1972م، حيدر أباد – الهند، (د – ط).
23. الرسالة، للإمام الشافعي، تح: أحمد شاكر، (د – ط).
24. سنن ابن ماجة القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، (د – ط).
25. سنن أبي داود، (د – تح)، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – مصدر الكتاب: وزارة الأوقاف المصرية، (د – ط).
26. سنن النسائي الكبرى، تح: د. عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1991م–1411هـ، ط1.

27. سير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين الذهبي، تح: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، القاهرة – مصر، (د – ط).
28. شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، (د – تح)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – (د – ط).
29. شعب الإيمان، للبيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني، زغلول، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان 1410هـ، ط1.
30. صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1414هـ–1993م، (د – ط).
31. صحيح ابن خزيمة، تح: د. محمد مصطفي الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان 1390هـ–1970م، (د – ط).
32. صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1.
33. صحيح مسلم، تح: دار الجيل – بيروت + دار الآفاق الجديدة – بيروت لبنان، (د – ط).
34. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417 هـ – 1997 م
35. الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي، تح: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1406هـ، (د – ط).
36. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للإمام السّخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت (د – ط).
37. طبقات الحفاظ، للإمام السيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر – مصر 1417هـ–1996م، (د – ط).
38. طبقات الحفاظ، للسيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر– مصر 1417هـ–1996م، (د – ط).

39. طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه، تح: د. الحافظ عبدالحليم خان، دار عالم الكتب، بيروت – لبنان 1407هـ، (د – ط).
40. طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين السُّبكي تح: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر – المملكة العربية السعودية، ط2.
41. العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني، تح: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، 1997م، ط1.
42. الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، تح: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت – لبنان 1404هـ– ط3.
43. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (د – ط).
44. الفصول في سيرة الرسول، لابن كثير (د – تح) دار الإمام أحمد – المملكة العربية السعودية، 2010م، 1431هـ، ط1.
45. فضائل القرآن، لابن كثير، تح: أبو إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، ط1.
46. فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت – لبنان 1974هـ، (د – ط).
47. قصص الأنبياء، لابن كثير، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الفجر للتراث – القاهرة، ط1.
48. كنز العمال، للعلاء المباركفوري، تح: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة – مصر 1401هـ–1981م، ط5.
49. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي، (د – تح)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، (د – ط).
50. لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (د – تح)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د – ط).

51. لسان المحدثين، لمحمد خلف سلامة، (د – ن)، 2007م.
52. مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط7.
53. المتفق والمفترق، للخطيب البغدادي، تح: محمد صادق الحامدي، دار القادري، دمشق – سوريا 1988م، (د – ط).
54. المجتبى من سنن النسائي، للإمام النسائي، تح: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب – سوريا 1406هـ–1986م، ط2.
55. مجموع الفتوى، لابن تيمية، تح: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاة 1426هـ، ط3.
56. المختارة، للضياء المقدسي، تح: عبدالملك عبدالله دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1410هـ، ط1.
57. مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ط7، 1402 هـ – 1981 م
58. المستدرك، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفي عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1990م – 1411هـ، ط1.
59. مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا 1404هـ–1984م، ط1.
60. مسند أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1999م، ط2.
61. مسند الشاميين، للطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، ط1.
62. مشاهير الصحابة، لابن حبان، تح: فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1959م، (د – ط).
63. مصنف ابن أبي شيبة في مصنفه، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409

64. مصنف عبدالرزاق الصنعاني، تح: حبيب عبدالرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان 1403هـ، ط2.
65. المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد وغيره، دار الحرمين، القاهرة – مصر 1415هـ، (د – ط).
66. معجم البلدان، لياقوت الحموي، (د – تح)، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د–ط).
67. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبه العلم المعاصرين، عبارة عن كتاب الكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة، أعده إلى الشاملة: خالد لكحل، http://www.ahlalhdeeth.com (د–ن).
68. معجم الصحابة، لأبي القاسم البغوي، تح: محمد الأمين محمد الجكني الشنقيطي، مكتبة دار البيان – الكويت، (د – ط).
69. المعجم الصغير، لأبي القاسم الطبراني، تح: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي – دار عمار – بيروت – عمان 1405هـ–1985م، ط1.
70. المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل – العراق 1404هـ–1983م، (د – ط).
71. معرفة الصحابة، لأبي نعيم الاصبهاني، تح: عادل يوسف العزازي، دار الوطن – الرياض – السعودية 1998م – 1419هـ، ط1.
72. مقدمة تحقيق تفسير ابن كثير، تح: سامي محمد سلامة، دار طيبة، 1420هـ، ط2.
73. مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث – طنطا – مصر – ط1.
74. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالغني الزرقاني، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت – لبنان 1996م، (د – ط).
75. منهج النقد في علوم الحديث، لنور الدين عتر، دار الفكر – دمشق، ط3.

76. المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، تح: د. محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دار الفكر – دمشق، ط1.
77. موارد الظمآن، للهيثمي، تح: محمد عبدالرزاق حمزة، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، (د – ط).
78. الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، 1417هـ–1997م، ط1.
79. موطأ الإمام مالك، تح: محمد مصطفي الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الإمارات العربية المتحدة 1425هـ–2004م، ط1.
80. ميزان الاعتدال، للذهبي، تح: علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1382 هـ – 1963 م
81. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1382 هـ – 1963 م
82. نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان 1417هـ–1996م، ط3.

ملحق عدد مواضع الرجوع لكل مصدر

اسم المصدر	عدد المواضع
مصادر الزحيلي من كتب الحديث	
أولا: مصادره من كتب الصحاح	
صحيح البخاري	532
صحيح مسلم	120
صحيح ابن خزيمة	1
صحيح ابن حبان البستي	11
ثانيا: مصادره من كتب السنن	
سنن أبي داود	1
سنن الترمذي	177
سنن ابن ماجة	187
سنن النسائي	92
رابعاً: كتب المسانيد	
مسند أبي يعلي	60
مسند البزار	47
مسند الفردوس للديلمي	27
مسند خيثمة	7
مسند إبن إسحاق	54
مصادره من كتب: المستخرجات والمستدركات على الصحاح	
المستخرج على الصحيحين (المختارة) للضياء المقدصي	1
المستخرج على صحيح البخاري للبرقاني	1
المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسبوري	8

فهرس المحتويات

	الموضوع	رقم الصفحة
.1	المقدمة	1
.2	**التمهيد ترجمة الزجيلي وآثاره العمية**	5
.3	**أولا: ترجمة وهبة الزحيلي**	5
.4	أساتذته وشيوخه	6
.5	أعماله وومناصبه	8
.6	أوصافه وأخلاقه	9
.7	تعريف بمؤلَّفاته	11
.8	وأهمُّ مؤلفاته وآثاره	11
.9	**ثانيا: منهج وهبة الزحيلي في التفسير**	15
.10	أولا: التعريف بالتفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج	15
.11	ثانيا: أهمية التفسير المنير	18
.12	**ثالثا: طريقته في التفسير**	19
.13	اولا: تفسير القرآن بالقرآن	19
.14	ثانيا: تفسير القرآن بالسنة	20
.15	ثالثا: تفسير القرآن بأقوال الصحابة	22
.16	رابعا: تفسير القرآن بأقوال التابعين	23
	الفصل الأول مصادر الزحيلي من كتب الحديث	
.17	أولا: مصادره من كتب الصحاح	26
.18	ثانياً: كتب السنن	42
.19	ثالثاً: كتب المسانيد	52
.20	رابعاً: مصادره من كتب المستخرجات والمستدركات على الصحاح	61
.21	خامسا: كتب المصنفات	64
.22	سادساً: كتب المعاجم الحديثية	68
	الفصل الثاني إعمال الحديث في أسباب النزول	

	الموضوع	رقم الصفحة
.23	أولاً: معنى أسباب النزول	70
.24	ثانياً: فوائد معرفة اسباب النزول	71
.25	ثالثا: أمثلة توظيف الحديث في أسباب النزول عند الزحيلي في تفسيره	73
	الفصل الثالث إعمال الحديث في المعني العام للآيات القرآنية	
.26	أولا: دور الحديث في بيان أحوال الأمم السابقة	96
.27	ثانيا: دور الحديث في سير الانبياء	104
.28	ثالثاً: إعمال للحديث في المعنى العام للآيات	117
	الفصل الرابع اعمال الحديث في آيات العقيدة	
.29	أولا: ما يتعلق بالأسماء والصفات	122
.30	ثانيا: من علامات يوم القيامة	132
.31	ثالثا: من أمور الغيب صفة الروح	139
.32	رابعاً: في ذكر سكرات الموت ونعيم القبر وأهواله	141
	الفصل الخامس إعمال الحديث في آيات الأحكام	
.33	أولاً: الطهارة	146
.34	ثانيا: العبادات	156
.35	ثالثاً: المعاملات	157
.36	رابعا: الحدود	160
.37	الخاتمة	164
.38	فهرس الآيات	165
.39	فهرس الأحاديث	170
.40	فهرس الأعلام	175
.41	المصادر والمراجع	177
.42	ملحق عدد مواضع الرجوع لكل مصدر	184
.43	فهرس المحتويات	185